سعيد البهالي

أسماء غريب من آسفي

أديبة وناقدة وعارفة بالله

أسماء غريب من آسفي

أديبة وناقدة وعارفة بالله

الكاتب : سعيد البهالي

المطبعة: SAFI GRAPHE

الطبعة الاولى 2020

أسماء غريب مبدعة عرفانيّة متفرّدة في تجلّياتِ حرفها الخلّاق، تستمدُّ رؤاها من صفاءِ فكرٍ مجبولٍ برحيقِ المحبّة والسَّلامِ الكوني

صبري يوسف*

قرأتُ كتاب المؤرّخ والكاتب المغربي سعيد البهالي الَّذي حمل عنوان: **"أسماء غريب من آسفي، شاعرة وناقدة وعارفة بالله،** وبعد قراءتي لهذا الكتاب، ومن خلالِ متابعاتي واطلاعي العميق على كتاباتِ المبدعة أسماء غريب على مدى سنوات، وحواراتي الموسوعيّة معها حولَ تجربتِها الأدبيّة والفكريّة المتنوّعة، وجدتُها مبدعة عرفانيّة متفرّدة ومتميّزة في تجلّياتِها الإبداعيّة، صافية صفاء حبور الرّوح، تستمدُّ عرفانيّتها من صفاءِ فكرِهَا الخلّاق، فهي مجبولة برحيقِ المحبّة والسَّلام الكوني، تجنحُ نحوَ خيرِ الإنسانِ أينما كان، أديبة موسوعيّة الثّقافة والرّؤية، تمتلكُ خيالاً رحباً ساعدَها على تجسيدِ آفاقِ رؤاها في مجلّداتِها الإبداعيّة الّتي غدَتْ مرجعاً للكثيرِ من المهتّمين والباحثين والنّقاد، لأنَّ قلّةً قليلة مَن طرقَتِ الفضاءات الّتي تقدّمُها عبر حرفها المجنَّح نحوَ فضاءات بكر لم يلجْها إلَّا كتّاب من طينةِ هذه الكينونة الفريدة من نوعِها، في زمنٍ يفتقرُ إلى هذه الآفاق الرُّوحانيّة العرفانيّة الإنسانيّة الوئاميّة الّتي لا تخطرُ على بالِ الكثيرين إلّا عبر الحلم أو الخيال، لكنّها ترجمَتْ هذه الرُّؤية عبر كتاباتها الّتي كتبتْها من أعماقِ جوارحِها، وقد ساعدتْها ثقافتها الموسوعيّة أن تغوصَ في فضاءاتٍ عرفانيّة شامخة، فقد قرأَتْ كل ما جاء في الأديان بكلِّ مذاهبها وطوائفها، وغاصَتْ عميقاً في تجلّياتِ رموزِ الأديان ومعانيها وتفاسيرها، كما قرأتِ العلومَ الإنسانيّة والفلسفيّة والآداب الشَّرقيّة والغربيّة، وتشكَّلَ لديها رؤية عميقة في الفكرِ الإنساني والدِّيني والإبداعي، وكلُّ هذا ساهمَ في تشكيلِ مبدعة عرفانيّة عميقة الغور في سبرِ ما جاءَ في الأديانِ والفلسفات والآداب، ممّا جعلها تحلّقُ عالياً في عالمِ الحرفِ علوَّاً سامقاً، قلّما نجدُهُ عندَ مبدعٍ آخر لما عندها من فرادة وخصوصيّة غير مطروقة عندَ غيرها من المهتمّين في هذا الفضاءِ العرفاني، ومن خلالِ اطِّلاعي على تجربتها الأدبيّة في الشِّعرِ والقصّة والمقال والنّص الأدبي، والرّواية، وقراءتي المستفيضة لتحاليلها النّقديّة، أدهشتني هذه المبدعة الموسوعيّة المدهشة في تجسيدِ رؤاها بطريقةٍ سلسةٍ وشفيفةٍ وكأنَّها جاءَتْ إلى الدُّنيا كي تقدّمَ ما لديها من آفاقٍ خلّاقة عبرَ حرفِها الممهورِ بروحانيّة صافية ورصينة، وهذا ما قادَني أن أبحرَ عميقاً في فضاءاتِ إبداعها وكل ما يتعلَّقُ بتجربتِها الأدبيّة بمختلفِ أجناسها، وأجريتُ معها حواراً موسوعيًّاً

تضمَّنَ مئة سؤال وجواب، أطلقتْ هي عليه: "رحلةُ المئة سؤال وجواب"، وأصدرتْهُ عن دارِ الفرات للثقافة والإعلام، وبعدَ فترةٍ شعرْتُ أنّني لم أستوفِ حقَّ هذه المبدعة النَّادرة في جانبٍ هام من جوانب إبداعها، وهو الجانب الرّوحي الصُّوفي العرفاني، والوئام الإنساني، فأعدَدْتُ نفسي لإجراء حوار آخر معها تضمّنَ مئة سؤال آخر أيضاً، وأجابَتْ عن الحوارِ الثّاني خلال فترة قصيرة للغاية، وأطلقتْ عليه عنوان: "رحلةُ السَّلامِ الرُّوحيّ من الفَحْمِ إلى الألماس، مئة سؤال وجواب"، وتبيَّنَ لي أنّها تتميَّزُ بتدفُّقٍ إبداعي مدهش، وعميقة للغاية في تدفُّقاتها وانسيابيّة حرفها وفضاءاتها الخلّاقة. وسرّني اهتمام الكاتب سعيد البهالي بإبداعها وتجلّيات حرفها ودراسته دراسة نقديّة كي يقدِّمَ رؤيته في أدبها للمتابعين والمهتمّين. إنّ الكتابةَ عن مدينة آسفي تتطلَّبُ الغوصَ عميقاً في عوالمِ الكثيرِ من المبدعين والمبدعات، فقد أنجبَتْ هذه المدينة مبدعين ومبدعات من طينة الأديبة والنّاقدة والمترجمة المبدعة أسماء غريب، فهي تعكسُ عبر كتاباتها فضاءات هذه المدينة المتلألئة ببذور الإبداع والسَّلام والخير الوفير، وتجلّيات الرّوح والعبور في أصفى جموحات الخيال. وقد آنَ الأوان أن ترسِّخَ مكانتها التَّاريخيّة الشّامخة عبر مبدعيها ومبدعاتها!

يتطرَّقُ الكاتب والمؤرخ سعيد البهالي عبر هذا الكتاب إلى انبعاثات الحرف بكلِّ تجلّياته عند الدّكتورة أسماء غريب، ابنة آسفي، هذه الأديبة الّتي غاصت عميقاً في فضاءاتِ القصّ والسَّردِ والشِّعرِ والنَّقدِ والتّشكيلِ، وسلَّطَتْ قلمها في رحابِ التَّرجمة، برهافةٍ عالية، وكأنّها تكتبُ نصّاً إبداعيّاً جديداً أثناء ترجماتها، حيثُ تتفاعلُ معَ النَّصّ الَّذي تترجمُهُ بطريقةٍ خلّاقة، لما تمتلكُ من أدواتٍ مرهفة في بحوثِها عن شخصيّاتِ الكتَّابِ والكاتباتِ الّتي تترجمُ نصوصَهم وكتبهم وعوالمهم، وهي أشبهُ ما تكونُ براهبة متبتّلة لخصوبةِ الحرفِ أثناء كتاباتها الشّعريّة والسَّرديّة والنَّقديّة، وعبر ترجماتها، فهي تقفُ في لبِّ الحرفِ، تهدهدُهُ وتناجي آفاقه، ومنعرجاته، ولا تتركُ جانباً من جوانبِ إبداعِهِ إلَّا وتغوصُ عميقاً في فضائِهِ، فتولدُ ترجماتها مثلما تولدُ النُّصوص الشِّعريّة بأرقى تجلّياتها، وتُعَدُّ أسماء غريب مبدعة نادرة في تعاملِها وتفاعلها معَ حرفِها عبرَ ترجماتها وكتاباتها الإبداعيّة المتنوّعة، كأنّها وُلِدَتْ من أجلِ أن تُقدِّمَ للحياةِ أسرارَ الحرفِ، بكلِّ معانيه. ينبعثُ الحنينُ والفرحُ والحبُّ والسَّلامُ من أعماقِها، وتموجُ القصيدةُ في ظلالِ الرُّوحِ وهي تتهاطلُ فوقَ خدودِ الدُّنيا، تنظرُ إلى الحياةِ من خلالِ أحلامِ الطّفولة، وطموحاتِ الصِّبا والشَّباب، عبرَ خيالٍ سيّالٍ. تكتبُ حرفَها بطريقةٍ لا تُشبهُ أحداً، إلَّا ذاتها، فهي تتواصلُ مع نورِ الحرفِ، وبهاءِ السَّماءِ وضياءِ الشّمسِ، وتستلهمُ تجلّياتها من روحِها الخلّاقة وقلبها النّابضِ بأصفى حبورِ الاخضرارِ، حيثُ تشكَّلَتْ معالم كتاباتها من تجربتِها المتبحّرة في الفكرِ الإنساني المصفَّى برحيقِ النّدى المنبعثِ من مهجةِ الرّوح، لهذا تشتغلُ على تشكيلِ حرفها بإيقاعٍ حلميٍّ، تأمُّليٍّ، إنسانيٍّ، كونيٍّ، كأنّها في رحلةٍ ابتهاليّةٍ مع تلألؤاتِ النُّجومِ، فتقطفُ ما ينسابُ على خيالها في الصَّباحاتِ

الباكرة، وهي تستقبلُ إشراقةَ الصَّباحِ فيبتسمُ لها نسيمُ الصَّباحِ وهو يتعانقُ معَ هلالاتِ الشَّفقِ فيولدُ حرفها مثلما تولدُ بذورُ الرَّبيعِ في أزهى بهائها، ومثلما تتهاطلُ حبّاتُ المطرِ من مآقي السّماءِ. تسمو روحُها وهي في أوجِ عطائِها، وتشعرُ بمتعةٍ غامرةٍ تصاحبُ كينونتها فيتعانقُ حرفُها معَ بهجةِ انبعاثِ الحرفِ، وكأنّها في طيرانٍ منعشٍ لبحبوحةِ الخيالِ، محلّقةً نحوَ آفاقِ المحبّة وتتوّجُ هواجسها عبرَ هدهداتِ الحرفِ، بطريقةٍ لا يمكنُ أن يتوقّعَها القارئُ، حتَّى هي نفسها لا تعرفُ كيفَ تنبلجُ تجلّياتها الإبداعيّة الشّاهقة، لأنّها في حالةٍ أشبهُ ما تكونُ مختَطَفةً من طينِ الحياةِ نحوَ أعالي السّماءِ، تكتبُ ما ينتابُها بشغفٍ غامرٍ وتغوصُ في لبِّ الحرفِ، كأنّها في رحلةٍ حلميّة لاستخراجِ المحارِ من أعماقِ البحارِ، وتصطفي نقاوةَ الحرفِ من هبوبِ النَّسيمِ المنسابِ فوقَ خيوطِ الحنينِ إلى مسقطِ رأسها آسفي. تنسابُ دمعتها من شهقةِ الشَّوقِ إلى الأزقّةِ الّتي ترعرعتْ فيها ولا تقاومُ دمعتها، فتنسجُ بوحها وحرفها من وحي ابتهالاتِ الرّوحِ وهي تعانقُ فضاءاتِ طفولتها الممراحة الّتي قضتها في آسفي، وتنفرشُ جنَّاتُ هذه المحطَّاتِ، والذّكرياتِ المحتبكة في هلالاتِ الرُّوحِ، وتنبعثُ بانتعاشٍ عبر انبلاجِ بهجةِ الحرفِ، فيشعرُ القارئ والقارئة أنّ هذه المبدعة أشبهُ ما تكون بشجرةٍ مجذَّرة في بركاتِ أرضِ آسفي وتنامى اخضرار أغصانها الوارفة عبرَ حرفها وحلَّقتْ ثمارها الطَّيّبة فوقَ خدودِ الدُّنيا.

أسماء غريب قصيدة شاهقة فوقَ جبينِ آسفي، حرفٌ مندَّى بأجنحةِ السَّلام والمحبَّة والعطاءاتِ السَّخيّة، تَحْبُكُ حرفها مثل النَّحلِ وهي تمتصُّ رحيقَ الأزاهير كي تصنعَ عسلاً صافياً من نكهةِ بسمةِ الكونِ وحبورِ أزاهير الخميلة. تحملُ أسماء فوقَ أجنحتِها جمالَ اللّيلِ والنّهارِ، وحنينَ الكونِ إلى مآقي الكائنات، وأمواجَ البحارِ إلى رفرفات الذّوارس والطُّيورِ المحلّقة فوقَ سواري السُّفنِ المحمَّلة بأحلامِ العاشقين، وتصوغُ هذه المشاعر بفرحٍ ووئامٍ معَ الذّاتِ، فهي متصالحة معَ الحياةِ ومعَ شهيقِ الكائناتِ وما يموجُ في أسرارِ الكونِ.

تكتبُ أسماء غريب القصيدةَ كمَنْ يعشقُ نسيمَ اللّيلِ العليلِ، وأحرقتْ منذُ زمنٍ بعيدٍ الشَّوائبَ العالقةَ في محطَّاتِ عمرِها كي تزدادَ صفاءً وتطَهُّراً من غبارِ الحياةِ، إلى أن غدَتْ قصيدةَ شعرٍ من لونِ الطُّفولةِ، ومن لونِ السّنابلِ الشّامخة في صباحاتِ الرَّبيع.

إنَّ حرفَها يتعانقُ معَ خدودِ الأزاهيرِ وأحلامِ الأشجارِ، ويموجُ ألقاً فوقَ أجنحةِ العصافيرِ والطُّيورِ المغرّدة تغريدةَ الفرحِ الآتي، تعيشُ مع جنَّةِ الحرفِ، فترسمُ حرفها في أوجِ تأمُّلاتها، يرقصُ حرفُها فرحاً، شوقاً، تساؤلاً رهيفاً، وتموجُ في خيالها آلاف الأسئلة، وهي سؤالٌ مفتوحٌ على مساحاتِ الدُّنيا. ترى الحياةَ كلمةً نقولُها، لهذا تقولُ كلمتَها وكأنّها تنقشُ رفرفات أجنحةِ الرّوحِ فوق وجنةِ

الحياةِ، لأنّها ترى الرّوح مرفرفةً عبرَ الحرفِ إلى الأزلِ. الكلمةُ شهقةُ حبٍّ ووئامٍ فوقَ آفاقِ هذا الزّمانِ، وستبقى الكلمةُ إشراقةَ عشقٍ مجنّحٍ نحوَ زغبِ السّماءِ!

غاصَ الكاتبُ والباحثُ سعيد البهالي في فضاءاتِ أسماء غريب الإبداعيّة، بكلِّ أجناسها الأدبيّة والنّقديّة والترّجمات، وتوغّلَ في محرابِ لونِها التّشكيلي، فوجدَ نفسه غارقاً في فضاءِ المحبّة والسّلام وصفاءِ الرّوح، وتراءَتْ أمامهُ مدينة آسفي عبر تجلّيات حرف أسماء غريب مثل طفلةٍ مجنّحةٍ نحو بيادرِ الخيرِ والعطاءاتِ الخلّاقة، وراودَهُ وهو يقرأُ كتابات هذه المبدعة المتفرّدة في انبعاثاتِ حرفها، كأنّهُ في فراديسِ الحرفِ، وظلَّ مشدوهاً ومندهشاً من شموخِ الكلمة وفضائها الغامر برؤيةٍ شاهقة بكلِّ ما تحملُ من آفاقٍ رحبةٍ في سماءِ الفكر العرفاني والإنساني المرتكز على ثقافةٍ موسوعيّة تشرّبتها هذه المبدعة المبرعمة في خيراتِ وطينِ آسفي، هذه المدينة المسربلة بالبركاتِ ونِعَمِ السّماءِ عبر كلِّ الأزمنة الغابرة حتّى وقتنا الرّاهن، وسَرَّه جدًّاً وهو يغوصُ في عوالمها الإبداعيّة الطّافحة بالفكر التّنويري العرفاني الكوني الوئامي وبكلِّ ما يدعو إلى ترسيخ إنسانيّة الإنسان بأرقى ما يمكن أن يكون، وقد وجدَ في رؤاها ما يُحرّضُهُ على البحثِ والتّمحيص وقراءة كتبها الأدبيّة والفكريّة والرُّوحيّة، وإذ به يمسكُ قلمه بكلِّ شغفٍ وشوقٍ كي يكتبَ ما رآه شامخاً في عوالمها الفسيحة، ويترجمَ ما استوحاه وحلّلَهُ من بحارِ رؤاها في هذا الكتاب، الّذي تنامى رويداً رويداً من خلال غوصِهِ المتأنّي في تجلّيات حرفها وإبداعها الرّصين، وشعرَ أنّه في مفترقِ الطُّرقِ وهو يسبرُ أغوارَها الرّهيفة، وتاهَ فرحاً وألقاً في بحارِ رؤاها وأفكارِها، ولم يتمكّنْ أن يُمسكَ الخيوطَ الّتي حلّقتْ في تجلّياتها الغنيّة، فالتقطَ ما يمكنُ أن يلتقطَهُ من رؤى وأفكار كي ينطلقَ بكتابةِ هذا الكتاب ويسلّطَ الضَّوءَ ولو على جزءٍ يسيرٍ من عوالم هذ المبدعة، ليقدَّمَهُ للقارئ العزيز على طبقٍ من وهجِ الابتهالِ، تاركاً بحارها الخلّاقة بمختلفِ أجناسها لكتّاب ونقّادٍ ومبدعين آخرين، كي يقرؤوا ويحلّلوا ويقدّموا بدورِهم ما فاتَهُ أو فاتَ غيره من النّقادِ، لأنَّ كتابات أسماء غريب تتطلّبُ أكثر من قراءة ورؤية نقديّة، لما فيها من رحابة شاسعة في الرّؤية وتجلّيات بوحِ الأفكار، ولا يمكنُ لناقد وكاتب وشاعر وأديب أن يحيطَ بمفردهِ بعوالمها الفسيحة، لأنّ رحابةَ تجربتها تتطلّبُ العديد من النّقادِ كي يلقوا الضّوء على تجربتِها عبرَ تحاليلهم المتنوّعة، ويقدّموا وجهات نظرهم ونقدهم وتحليلهم للقرّاء والمهتمّين بتجربتها المهمّة، كي يتمكّنَ المتابعون والقرّاء والمهتمّون أن يحيطوا بما قدّمته هذه المبدعة عبر تجربتها المتميّزة بفرادتِها ومسيرتها الإبداعيّة الطَّويلة. لأنَّ أسماء غريب غاصتْ عميقاً في فضاءاتها المنبعثة من معالمِها الطّافحة بألقِ الإبداعِ والوئامِ، والكلمةِ المكتنزة بأسرارِ الوجودِ. لِمَ لا، وهي الكاتبة والمفكّرة الممهورة برؤىً وآفاقٍ عرفانيّة شاهقة في انبعاثاتِ حرفِها، ولا يستطيعُ أن يحيطَ أيُّ ناقد أو ناقدة بما كتبته الأديبة والنّاقدة والمترجمة أسماء غريب، لأنّ غزارةَ وعمقَ وتنوّعَ إبداعها، يتطلّبُ فريقاً أو

مجموعة من النّقاد، على أن يمتلكوا رؤية عميقة في آفاقهم النَّقديّة والتّحليليّة والثّقافيّة، كي يسبروا أغوارَ حرفها المجنّح نحو ضياءِ نجمةِ الصَّباح، لأنَّ أسماء غريب مبدعة مرفرفة الأجنحة في آفاقِ رؤياها الإبداعيّة، فهي تحلِّقُ مثلَ طيورِ المحبّة وتنثرُ حرفَها بكلِّ سخاءٍ فوقَ مروجِ الدُّنيا، تنثرُهُ خيراً وبركةً ونعمةً على البشرِ في كلِّ بقاع الدُّنيا.

تناولَ الكاتبُ سعيد البهالي تجربة أسماء غريب الأدبيّة والفكريّة والفنِّيّة، وتطرَّقَ إلى الجوانبِ التّالية:

استهلَّ الكتاب بمقدِّمة حملت عنوان: "أسماء غريب عارفة بالله"، وتحدَّث عن إبداعها بالعناوين التّالية: "في الطّفولة الإشارات والدَّلالات. نقد التَّصوُّف: خلع الجبّة وطرح العصا. معرفة النَّفس وتهذيبها: أساس كل سلوك عرفاني. أسماء غريب سفيرة السَّلام وإنسانة الوئام. أسماء غريب شاعرة مقامات اليقين. في رحاب الفن التّشكيلي: بين تجلّيات المعاني وظلال المعاني. أسماء غريب المُحبّة لآسفي: من حاضرة المحيط إلى جزيرة الشَّمس. من آسفي إلى صقلّيّة: رحلةُ الأنوار والتّجلّيات". وعرضَ السّيرة الذَّاتيّة وقصيدة نيازك اللّهب لأسماء غريب. واختتم الكتاب بكلمة قدّمتها أسماء غريب بمناسبة تكريمها بمدينة آسفي، مع نشر ما جاء في نص التّكريم الخاص بهذه القامة الإبداعيّة في مسقط رأسها آسفي يوم 28. 12. 2019.

أسماء غريب مبدعة متفرّدة في تجلّيات حرفها المجنَّح نحوَ فضاءاتِ الأدبِ الإنساني العرفاني الخالد.

ستوكهولم: أيار (مايو) 2020

أديب وتشكيلي سوري سويدي مقيم في ستوكهولم

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

مقدمة

الكتابة عن الدكتورة أسماء غريب تدخل ضمن نفس المنهج الذي سرنا عليه سالفا، وهو الكتابة عن مدينة آسفي وأعلامها وقضاياها، أي السير وفق رؤية " التاريخ المحلي " أو المونوغرافيا "، ومعلوم أن المونوغرافيات، كما حددتها مدرسة الحوليات، تقوم على أساس توسيع مفهوم الوثيقة، فيصبح " كل شيء تاريخ، وكل شيء وثيقة "، وبالتالي تصبح لدينا السيدة أسماء غريب، بكتاباتها المتنوعة والغزيرة، وثيقة حية وغنية، وجب اعتمادها للكتابة والتحليل والتوثيق،أو كما قال لوسيان فيبر (1878/1956) رائد مدرسة الحوليات في التاريخ :" لا شك أن التاريخ يكتب اعتمادا على كل ما يستطيع الباحث، بمهارته وحذقه، أن يستنبطه من أي مصدر، من المفردات والرموز، ومن المناظر الطبيعية ومن تركيب الأجر، من أشكال المزارع ومن الأعشاب الطفيلية، من خسوفات القمر ومن قرون الثيران، من فحوص العالم البيولوجي للأحجار، ومن تحليلات الكيميائي للسيوف الحديدية " (1)، وبالتالي فكتابة تاريخ مدينة آسفي والتعرف على أعلامها ومعالمها وتاريخها وتراثها الفكري لا ينطلق دائما من البحث في الماضي، بل أيضا من الالتفات للحاضر بأشخاصه ووقائعه ونصوصه، أو بعبارة أخرى، فالتأريخ للمدينة وإبراز فعاليتها وديناميةأبنائها وإسهاماتهم في شتى دروب الحياة، لا

ينطلق دائما من استنبات الأسئلة في حقول الماضي البعيد، بل أيضا من معاينة الحاضر الذي سيصبح يوما ما من الماضي / التاريخ، وبالتالي " تكون وظيفة التاريخ قد انتقلت من مجرد نقل معرفة موجودة بالقوة إلى معرفة موجودة بالفعل "(2) ، والكتاب الذي بين أيدينا لا يسعى، أو يزعم لنفسه، أنه كتاب تاريخي يقدم إشكالية في التاريخ أو يجيب عليها وفق قراءة معينة، ولا هو كتاب سيرة ذاتية ترصد وتتتبّع حياة السيدة أسماء غريب في الوطن أو في المهجر، وإنما هو نبضات وومضات حول هذه الشخصية الأدبية الأسفية، التي جمعت بين فن البوح الشعري، وجمالية النقد الأدبي، وروعة الحكي القصصي، وحلاوة السرد الروائي، وطلاوة الفن التشكيلي ...هو مجرد تأمل في جمال الحرف وبهاء الإبداع الكامن في نصوصها، أتجرد خلاله من جبّة العاشق للتاريخ المحلي، لأدخل محراب العاشق لجمال الحرف المجرد، وأهيم في مقامات التجلي والبهاء، لعل أهل العشق وأصحاب الحرف يقبلوني في ركبهم فأفوز بصحبتهم، ولكي لا يسري علي التأسف فأقول نادما :" يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما " سورة النساء آية 73

ما أقدمه في هذا الكتاب لا أزعم لنفسي الإحاطة بأدب وإبداع السيدة أسماء غريب،وإنما أحاول الوقوف عند عتبة باب حرفها أطرقه وأتملى روعة الباب، دون أن أجرؤ على الدخول لدهشتي وقلة زادي وغربتي عن عالم الحرف الوقّاد الأخّاذ، وكأنها نصوص تنادي بلسان الحال :" اترك نفسك وتعال "،وتخاطب كياني ووجداني: " طهّر قلبك لتراني".

هو إذن كتاب نزهة سياحية فكرية تأملية في فكر وإبداع د أسماء غريب و" أفضل النزهات والسياحات في الكون تلك التي تكون داخل قلب إنسان آخر، يستظل فيها بكلماته ويرتوي من رقراق حروفه، ذلك أن الإنسان محطة الوصول الحقيقية لا الدول ولا

المدن " (3)، وإني لأرجو أن يكون الكتاب عن د أسماء غريب قراءة بعين المحبة والإعجاب ومن باب الإخاء والسلام الإلهيين، وألا يكون قراءة إسقاطية أو غثاء أحوى تذروه الرياح، كتاب أردناه تعريفا بهامة أدبية سامقة في مجال الترجمة والنقد والتشكيل والرواية، وقامة إبداعية باسقة، عارفة بالله، تذكرنا في صفاء روحها وطهارة أنفاسها برابعة العدوية (717م/ 796م) وفاطمة النيسابورية ومريم البصرية ومينة بنت ميمون الدكالية (ت 595هـ/1198م) (4) و أم السلامة الدكالية (5) وزهراء بنت عبد الله الكوش (ت 1020هـ/1612م) ولالة هنية الحمرية و رقية أم علي الغنيمية (6).

وأعترف وأنا ما زلت في مقدمة الكتاب أن هناك صعوبة في التعامل مع تجربة إبداعية عرفانية لها مفاهيمها ولغتها الخاصة، ولها حقولها الدلالية والاستعارية المُسَيّجة بقواعد مفتوحة على عوالم روحانية / إحسانية متألقة، إن اقتربت منها دون عُدّة منهجية ومعرفية ملائمة قد تحرقك حروفها المنيرة ومعانيها المستنيرة، خصوصا لمن كان مثلي بضاعته من علوم الآلة مزجاة، وغنيمته من إشراقات المعاني أقفر من فلاة، لكن في المقابل ما أجمل السباحة في وديان الحروف وإبداعاتها، وما أجمل السياحة في عوالم الروح وإشراقاتها، وما أجمل الإنصات للداخل الإنساني العميق تستكشف مكنونه، وتستطلع مجهوله، خصوصا إذا كان هذا المبدع / الإنسان تتقاسم معه لذة الانتماء للحرف وجماليته و للمدينة ومحيطها وعاداتها وتاريخها ...

د أسماء غريب، الأديبة الدارسة للقانون واللاهوت والفلسفة والتاريخ، المهووسة بالحرف والقانتة في محرابه، تنثر عبق المحبة والعشق، وتنشر عبير السلام والوئام، المسكونة بهمّ النقطة والسؤال، الآتية من رحم البراءة والفطرة والتجرّد، اللابسة خرقة المعرفة

والعرفان، المدثرة بجبّة الريشة والألوان، المبحرة في محيط النون والقلم، تكتب ببراءة الطفولة وحكمة الشيوخ، تسافر نحو المجرّات والأفلاك، تزرع الكلمات بقلب صاف فتلتقطها عين الروح، شأنها شأن أهل الحرف الأكبر والسرّ الأبهر، أهل التسبيح والتقديس، أهل الصمت والإفهام، تكتب بقلم القلب وحبر الروح، وترسم بعمق الوجدان وعين الجمال، فتعرج كلماتها وألوانها نحو الملكوت الأعلى وتنزل غيثا لدُنيّا نديّا .

د أسماء غريب المسافرة من بيت القصيد نحو البيت المعمور، بحرقة الوصل ورغبة الوصال، في حرفها قلق السؤال وألق الجواب، حوارها مع الذات في شموخ وشمول، بين ترميز وتشكيل وتفصيل، بحرف مُضمّخ بعطر المحبة والوئام، معطر بطين وادي" الشعبة" ودار السلام، نقطتها خميرة معنى صَفِيّ سامق، وحرفها خميلة فكر نقي شاهق، من دفقة العشق وشهقة الغرام، تزهر وردا معطرا في محارة الفؤاد، وتشعل قناديل هي لغة الإنبعاث في ودعات الوجدان، بوحها يشع بالفرح والسلام والهدوء والبشرى، شفافة روحها ككوكب دري، مربوطة بالحرف والنقطة بحبل سري، نقي قلبها كحليب البدايات، مشع حرفها كجدائل الشمس، جميل إبداعها كإشراقات صباحات العيد، رائع انفتاحها كروعة البحر المحيط، مؤمنة كونية، وعارفة عالمة، " خيميائية عارفة بأسرار الحرف والحبر والنون، بعيدة عن المُسيّس والمُمذهب " (7)، تحمل في طيات إبداعها رسالة فكرية وقيميّة، وقليل هم الأدباء اليوم الذين يحملون رسالة للعالم، رسالتها تتلخص في المحبة والسلام والتعايش، رسالتها للإنسان أن يفهم نفسه أولا، ويعي معنى وجوده وأهدافه الحقيقية في هذه الحياة، وهي بذلك سائرة على درب إخوتها في النور والرسالات، العابرين بالروح من غياهب الظلمات والضياع إلى فراديس النور والحبور، حيث الحب وحده المخلّص، "والمحبّة وحدها تحرك الشمس وباقي الكواكب " (8) فهي إذن مبدعة رسالية من أهل الإشراق والكشف والعرفان، أهل الحرف الأكبر والبرهان

السيدة أسماء غريب تعجن كلماتها من شجرة القلب ونور الشمس، تُعَمِّد المعاني بتراتيل المحبة، تغسل الماضي بالحنين وترنو نحو بوابات النور، تحمل إرث العارفين وإخوة النور، تنثره في زمن التيه في نتوءات الذاكرة، كي تستفيق النفس من رماد الغياب ويباب الأحزان، هي حسناء صقلّية والقباب الحمر، وحفيدة "أطلانتس" والجوامير الذّهبية وعاشقة أولياء الله الصالحين، حارسة حرف المحبة، والمسافرة دوما بين المجرات تسمع هسيس الكواكب، لتُنضج أحلام القلوب، الساهرة بين نول المعاني تبتكر لغة السلام المضمخة بالوئام .

من " الهُنا " إلى " الهُناك" بنور القلب تمزج بين فرح الصبا ونسمات الصباح، وتصنع فراشات الحكي لتقرئنا السلام، في حقيبة سفرها المبارك تحمل أغنية السلام وضوء النجوم وجدائل الشمس، مدثرات ببياض القلب وخفقات الروح، وتراتيل العارفين العابدين، السالكين الساكتين الساكنين أقصى / أقسى الطريق، في سماء الروح وسناء الحروف المضيئة نسمع شذو العنادل على نور شموع الفؤاد، وتسبيحات الفراشات بين هضبات القلب تفوح شذى وندا.

هذه " العبديّةّ"(9) " الصقلّية" (10)، الأسفيّة " الباليرميّة"(11)، المغربيّة الإيطاليّة (12)، الشّرقيّة الغربيّة، المدثرة بالفرح والابتسامة، والمحنكة بروح السلام وفيوضات المحبة، القابضة على الجمر وضوء البدر، الباحثة عن لحظات الفناء في عالم الجمال والبهاء، تهدي حليب النقطة ونسغ الحرف للباحثين عن الكمال، هي وردة المحبة وسفيرة السلام، القابضة على أحلام الطفولة في مقامات الصّمت والسكون، هي بنت فاطمة (13)، وأخت الحسين، حفيدة النقطة المحمديّة (14) عين الوجود، والسابحة في رؤيا الملكوت بعين الجمال والكشف والشهود، أخت الشّعراء الفقراء، أهل التسليم والتجريد (15)، أهل التوكل والتوحيد، الباحثين عن مُخّ الكمال بعين الجمال، ومُخّ المعنى بعين التوفيق والتسديد، الوالهة في جمال النقطة،

المتبتلة في محراب حسن الحرف، حيث لا يدخل إلا من خلع النعلين وتجاوز غربة الدارين، وغسل القلب بماء الوجد والفقد مرتين، وأفرغ القلب من الفراغ، وسار على نهج أهل النور، العارفين بسرّ السرّ ونون الأمر.

السيدة أسماء / سيدة الأسماء، وهي تفكر خارج الصندوق، يتنوع ملكوت بوحها، وتختلف عوالم حرفها، فمن ملكوت الرواية الباسق إلى مُلك القصة الشاهق، ومن عالم التشكيل الباذخ إلى فضاء الترجمة الشامخ، ومن جلال حضرة النقد إلى جمال ساحة الشعر، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وفضل الله بلا عدّ أو حدّ، يطرق الحرف بابها باستمرار وفي كل اللحظات، نديا طريا، تنزف حروفها شلالات، تنير طريقها العرفاني النوراني، فتسافر في وهاد المعاني تروم الخلاص والحب والسلام، تنتقل من " الهُنا" (حاضرة المحيط / آسفي) إلى " الهُناك" (جزيرة الشمس/ صقليّة) كفراشة باحثة عن الأنوار والأسرار،لا يحدها فاصل، ولا يصدها حاجز، فهي الروائية النساجة خيوط المعنى بنول الفؤاد على ضوء القمر، والشاعرة الناثرة بذور الكلام في عين الشمس، تكتب بنسغ الروح لتغسل وحشة الغياب، تكتب ولا تستريح، تكتب ما ترويه الروح، ترتفع إلى أعلي الفردوس وتكتب، تنزل إلى أعماق النفس وتكتب، تتحدث مع الغيوم والأشجار والطيور وتكتب، تكتب لتوقظ ذلك الطفل الصغير الكامن في الأعماق والذي ينتظر أن يُغسل بماء الشعر والرواية والقصة والرسم وكل أنواع عطور الإبداع، تكتب أحلامها، طموحها، شموسها، أقمارها ... فالكلمة هي الخلاص، وهي البداية والمأوى وسدرة المنتهى (16)، وما الكتابة في النهاية " سوى عرس في فردوس الكينونة "(17)، فقد رحلت للبحث في خزانات المغرب عن كتب العرفاء وإشاراتهم وتفاسيرهم من أجل إنجاز أطروحتها الجامعية / الجامعة، رحلة للبحث عن الحروف النورانية تذكرنا برحلة أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي (1404م/1465م) لمكتبات فاس العتيقة لتجميع مادة كتابه "

دلائل الخيرات ومشارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار" قبل أن يحط الرحال بخلوته على شاطئ مدينة آسفي، فما أشبه اليوم بالبارحة، وما أشبه رحلة البحث عن أسرار الحروف النورانية لأسماء غريب برحلة البحث عن مشارق الأنوار للإمام الجزولي، ولا عجب، ولا غرابة، فالأنوار أسرار، والأنوار لا تتضاد ولا تتزاحم، والسيدة أسماء غريب، ذات البلدين / النطاقين تسير وتسري بنور الحرف والنقطة، وهي استمرار مشرق ومشرف لتلك القبسات النورانية من أهل الله وخاصته التي تخطت حدود الزمان وحواجز المكان ليشع نورها على العالم محبة وسلاما، إخاء ووئاما، سخاء ورخاء .

ورثت عن أبي محمد صالح تجرّده وزهده، وعن "الموناليزا" ابتسامتها وصمتها، فهي نقطة الالتقاء البيضاء المكنوزة في صفحة الأنس والسناء، مصهورة بنور المعرفة، و ممهورة بنار العرفان، كفراشة تحوم حول النّار تروم الفناء في النور، تدخل تنور الكلمة بالنار والنور وتخرج بالبرد والسلام (18)، وصفها الأديب السوري صبري يوسف فقال :" قامة نقدية أدبية باسقة، مخلصة بتوهجات حرف مكور بألف الانبهار، مشبعة بينابيع إبداعية صافية، تمتلك قدرات عميقة في الغوص في أسرار انبعاث الحرف، من خلال تأملاتها ورشاقة تجلياتها العرفانية نحو أقصى مرامي الحرف المنبعث من خيال الكاتب " (19).

بقلب طفولي أخضر، وبعقل يقظ مستنير، وأفق واضح و واسع، وصدر رحب، تصنع البهجة والمسرة حد الامتلاء، ولا عجب، فالحرف حرفتها، والنون نقطتها، والألوان لوعتها، تنهل تسبيحاتها من عين النقطة وبحر المحبة، بسرّ "ن والقلم وما يسطرون" سورة القلم /1، ففي كل ما تخطه يمينها (كلمة أو لونا) تحس بسمو الروح وخفقانها في عوالم الطمأنينة والسلام، وتحسّ بالفيوضات النورانية المتدفقة من أعماقها المليئة بالسكينة والهدوء والصمت المطلق،

لتسمو بقارئها نحو عوالم الملكوت والأبدية وتسقيه بماء الحرف الزلال، فتخاطبه (يا أيدك الله) بمحبة ودفئ وسلام، إذ تُشعّ من حُروفها المودّة والتفاؤل، وهذا لعمري شأن الكُمّل الخُلّص من أهل الحرف والعرفان.

أسماء غريب حورية السلام المزملة بالبراءة والرهافة ، وسفيرة الوئام المدثرة بالبهاء والصفاء، راهبة المحبة القانتة في خلوة الطمأنينة، سمو تواضعها يَشِي بنفس من الغلّ طاهرة، وينمّ عن روح بالنسك والمحبة عامرة، تمنح كلماتها الدافئة وحروفها المشرقة من إرث قدسي ومقدس يتاخم حدود المنتهى، ولا ريب فهو صادر من " قلب عفيف رهباني ونامي ومتنور بالمحبة والعطاء الخلاق، وروح صافية صفاء المطر ومبللة بخيرات نعيم السماء "(20)

في آخر هذه المقدمة أوجه دعوتي لأساتذة جامعاتنا وطلبتنا الباحثين وكتابنا ونقادنا للالتفات لهذه الأديبة والناقدة المبدعة ويخصوا تجاربها الإبداعية بالبحث والدراسة، تأليفا وتعريفا، إنصافا واعترافا، فحسب علمي المتواضع لا توجد دراسة مغربية متكاملة عن السيدة أسماء غريب رغم أن المشارقة من سوريا، العراق، مصر.. سبقونا لذلك ونقصد دراسات كل من صبري يوسف الذي خصها بكتاب مستقل تحت عنوان (رحلة طيبة في تجليات أسماء غريب : قراءة وانطباع وتحليل) والأب يوسف جزراوي،وصباح الأنباري، وحيدر علي سلامة،وغسان العبيدي، وأسامة غالي،ونوال هادي الجبوري وعواد الغزي ...(راجع الملحق)، فما سر هذا الجفاء من كتابنا رغم أن د أسماء غريب قدمت دراسات نقدية وترجمات مهمّة وعميقة عن العديد من المغاربة أمثال : محمد بنيس (قدمت حوله أطروحة دكتوراه) وأنس الفيلالي (ترجمت ديوانه نشيد المقبرة) والزبير بن بوشتى وإبراهيم القهوايجي وعبد النور مزين (قراءة في روايته رسائل زمن العاصفة) (21) وإبراهيم كريدية (ترجمت كتابه علاقات حاضرة

آسفي وجمهورية جنوة الايطالية وخصته بمقالين) وسعيد البهالي (22)...وإني لأرجو أن أكون أوّل مغربيّ يكتب كتابا عن هذه السيدة الأديبة المبدعة عرفانا بجهودها وتعريفا بها في بلدي ومدينتي / مدينتنا حاضرة المحيط .

لا يسعني في ختام هذا التقديم إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل للعزيزة سميرة جودار التي اقترحت علي فكرة هذا الكتاب فوجدتْ فكرتها في القلب هوى وقبولا، وفي العقل تطلعا ونشاطا، وفي النفس إرادة واستعدادا، كما أشكر الأديب السوري المقيم بالسّويد، ذ. صبري يوسف الذي أمدّني بكتابه الجديد عن أسماء غريب والموسوم بـ (رحلة طيبة في تجليات أسماء غريب قراءة وتحليل وانطباع)، والشّكر موصول أيضا للشاعر العراقي المقيم باستراليا ذ. أديب كمال الدين الذي زوّدني بكتاب (تجليّات الجمال والعشق عند أديب كمال الدين) وكذا بديوانه (مواقف الألف) وكذا للسيدة أسماء غريب التي أمدتني ببعض كتبها، والشكر موصول أيضا لمؤرخ مدينة آسفي السيد إبراهيم كريدية على تشجيعاته .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

هوامش :

1 . Pour l'histoir P428 Comba :Lucien Febvre

نقلا عن د محمد حواش : الخصائص المنهجية للبحث في التاريخ الجهوي وفق منظور مدرسة الحوليات " الضرورات الخمس " صفحة 3 / 4 مركز دراسات المعرفة والحضارة، بني ملال المغرب /2019

2. نفسه صفحة 4

3 . أسماء غريب : كواكب على درب التبانة الجزء الأول مقاربات نقدية صفحة 356، دار الفرات للثقافة والإعلام العراق . بابل 2018

4 . **انظر ترجمتها في كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي صفحة 316**

5 . **انظر ترجمتها في كتاب التشوف إلى رجال التصوف صفحة 387**

6 . **من نساء التصوف والعرفان بمدينة آسفي**

7. **كواكب على درب التبانة الجزء الأول صفحة 11**

8. **نفسه صفحة 122**

9 . **نسبة إلى بلاد عبدة إقليم آسفي**

10. نسبة إلى صقلّية

11. نسبة إلى باليرمو عاصمة صقلّية حيث تقيم أسماء غريب

12. السيدة أسماء غريب حاصلة على الجنسية الايطالية

13. **إشارة إلى نسبها لفاطمة الزهراء رضي الله عنها**

14. إشارة إلى نسبها المحمدي الشريف، فهي تنتمي إلى الشرفاء أولاد مولاي بوحي بتادلا، انظر أسماء غريب : رحلة المئة سؤال وجواب الجزء الأول صفحة 26/27، دار الفرات للثقافة والإعلام العراق . بابل 2018

15. اقتباس من قصيدة (سبعة قنادل وسبع لآلئ) من ديوان 99 قصيدة عنك، دار الفرات للثقافة والإعلام العراق . بابل 2015

16 . **انظر أسماء غريب : رحلة المئة سؤال وجواب ج 1 صفحة 256**

17 . أسماء غريب : قراءات من ذاكرة الحرف مقاربات نقدية صفحة 347، دار غيداء الأردن طبعة أولى 2019

18 . **انظر أسماء غريب : ديوان مشكاة أخناتون صفحة 16، دار الفرات للثقافة والإعلام العراق . بابل 2018**

19 . **أسماء غريب قراءات من ذاكرة الحرف صفحة 360**

20 . -- **رحلة السلام الرّوحي من الفحم إلى الألماس رحلة المئة سؤال وجواب (الجزء الثاني): حوار أجراه من ستوكهولم صبري يوسف، صفحة 218، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2019**

21 . انظر كتابها النقدي كواكب على درب التبانة وموسوعتها الترجمية والانطولوجية (ترجمت لك)

22. انظر الملحق

أسماء غريب عارفة بالله

سواء سمينا تجربة د أسماء غريب في الحياة والكتابة عرفانا أو تصوفا أو إحسانا أو إشراقا ... فنحن لا نجاوز الصواب إذا قلنا أنها عارفة بالله، تنتمي إلى ذلك الموكب النوراني البهيج والمشرق في تاريخنا، موكب الذين تنورت مبانيهم وأشرقت معانيهم، والذين عاملوا مولاهم بصدق القلوب في الخلوة والجلوة، في السراء والضراء، في الشدة والرخاء، دخلوا على الحق بقلوب نقية تقية، صادقة صافية، أخرجوا منها هم الأرزاق فرزقوا من حيث لم يحتسبوا، وأخرجوا من حسابهم الخلق وانفردوا مع الخالق وأخلصوا العلم والعمل، فخلصت لهم الأمور وصفت من الأكدار، ولما فطموا قلوبهم عن الخلق اصطفاهم الخالق وصفى سرهم له، " رضي الله عنهم ورضوا عنه " وهذا هو الوفاء الذي تحدثت عنه في إحدى قصائدها :

" وما الوفاء ؟ /

كان هذا سؤالك الخامس لي

ليلة لقائنا السادس/ فقلت لك :

ألا أكتب عن أحد سواك

ولا اقرأ حرفا آخر ليس بحرفك

وألا أدخل محرابا أنت لست فيه

ولا أشرك في هواك أحداً غيرك

وهل يعقل أن يكون في القلب الرب وعبده ؟ " (1)

هكذا تعبر أسماء غريب عن خلو قلبها العارف من كل ما سوى الله / الأغيار، فيشرق القلب بنور الله عز وجل، ومعلوم أن التصوف كله يقوم على هذا المبدأ الأساسي : إفراغ القلب من الغير/ السوى،وهي القائلة :

" وفي قلب كل عارف شمس

قد تحملها أنت أيضا

أيها السالك الصغير ." (2)

ما العرفان خمول ودروشة، ولا تواكل وانطواء، ولا لبس مرقعة أو حمل عصا، ولا هو شيخ فاعل ومريد مفعول به، تقول موضحة / ناصحة :

" يا ابنتي،

لا تكوني شيخا فالشيخ يقتله مريدوه

ولا تكوني رأسا فتقطعها السيوف،

ولا تكوني من أهل الخرقة

فيركض خلفك السحرة

والمشعوذون، والمتحذلقون " (3)

العرفان تجربة في الحياة تقوم على أساس السلام الداخلي المفضي للاطمئنان كي " تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك " (4) ، العرفان هو التعلق بالمولى عز وجل فلا ترى غيره، هو سهاد لا رقاد، وهل يرقد العبد في حضرة مولاه ؟ تقول متولهة واجدة :

" لا العاشق ينام

ولا الليل ولا النوم

ولا حتى أنت وأنا ننام

نعم يا سيدي

فالعشق والنوم

بحران بينهما برزخ لا يبغيان

والليل أنت، سلطان

تأتيني كل يوم خاضعا

خاشعا عاشقا

وترتمي بين أحضاني

فوق سرير الصبابة والجوى

ولا تنام يا سيدي "(5)

فليالي العاشقين / العابدين / العارفين كلها بيضاء، فمن عرف اشتاق، ومن اشتاق ذاق، ومن ذاق عز عليه الفراق، ومن أصابته صبابة الجوى فقد اكتوى، ومن اكتوى بنار حب مولاه كيف ينام ؟

هي حرارة الشوق تتوهج وتتأجج، والليل الأبيض مطلوب المحبين، فالليل كهف الأسرار ومطلوب الأخيار الأبرار، أهل المحبة والعرفان، أهل التسليم والتجريد "وسلام هي حتى مطلع الفجر" سورة القدر / آية 5 ، ولا تفهم أصلحك الله أن السيدة أسماء غريب من الذين يسهرون فلا ينامون، أو من الذين يصومون فلا يفطرون، أو يصمتون فلا يتكلمون، فما لهذا رمت ولا إليه قصدت، بل إن تجربتها العرفانية ، كما سنرى لاحقا، مبنية على أساس المُزايلة

والمُفارقة / المُفاصلة وبناء النموذج السلوكي الشخصي المشرق والدال، وهو ما عبرت عنه شعرا :

" قال : لا شأن لك بالحلاج وأهله

قلت : لم ؟

قال : قيل عنه إنه قُتل لأنه باح بالسر

... وأنا لست من أهوى ومن أهوى أنا

لا أحل في أحد ولا يحل فيّ أحد

يحترق الإنسان إن أنا فعلت ذلك "(6) ،

فهي تقف في مقامات ومحاريب العارفين العاشقين، الواصلين الموصولين، الوالهين الواجدين، باكية من صبابة العشق الحارقة، تسمع مذياع قلبها وهو يحدثها عن الله، القادر الأزلي، العالم الأبدي، الحي الأحدي، الموجود السرمدي، المدرك الصمدي، وأجمل حديث هو حديث القلب الخاشع، المخبت الطائع، مضغة الجسد الصالحة، تقول :

" مذياع قلبي حكايته غريبة

ومحطات إرساله عجيبة

مذيعه واحد، يسامرني كل ليلة

بصوته الرخيم إلى الرابعة

يحدثني عن الله الواحد الأحد

عن الطواويس المطوقة بالنور

عن الغربان البيض والحمر

عن دوائر القهر والستر والسر والغفران

... فما أعذب صوت مذيعي بل ما أشجاه

كل ليلة بأذكاره بألحانه وترانيمه

يبكيني يبكيني يبكيني ." (7)

وهو نص عميق ذو دلالات وتلميحات، إذ يلخص الوسيلة الأهم للمعرفة عند الذات العارفة وهي (القلب) باعتباره منبع المعرفة الداخلية، وغني عن البيان أن القلب هنا هو وسيلة لتحقيق الكشف في عوالم الباطن، وغني عن البيان أيضا القول أن التصوف قد اعتمد القلب لمعرفة الباطن / العالم الحقيقي في مقابل العقل لكشف العالم الخارجي أي عالم الظواهر(8)، والعقل المستبعد عند العرفانيين هو العقل الإيديولوجي لا العقل كآلية للإدراك، وتعتبر قصيدتها (العيادة العرفانية) القصيدة التي بلغت بها أقصى درجات التألق العرفاني، تقول مخاطبة الحضرة الإلهية :

"وقلتَ : إني اخترتكِ لي

فابتسمتُ خاشعة خاضعة

وقلتُ : إني لكَ، متى وأنى شئت ذلك

يا مولاي

قلتَ : الثمن باهظ جدا

فهل تصبرين ؟

قلتُ : وهل سأكون أفضل من جدي محمد

وأخي يوسف وأبي أيوب ؟ " (9)

عموما فمن خلال قراءتنا المتواضعة لما كتبت أسماء غريب، أو ما كتب عنها، يمكننا القول أن تجربتها العرفانية تقوم على ثلاثة أسس رئيسية هي :

. نقد التصوف التقليدي وما أصابه من انحراف، وبالتالي بناء نموذجها العرفاني الشخصي المشرق.

. الدعوة لتهذيب النفس ومجالستها والإبحار في عوالمها الداخلية لمنحها الطمأنينة والسلام .

. الدعوة للسلام والتبشير به .

لكن قبل أن نتطرق لهذه الأسس وتبيان أهميتها وأصالتها، لا بد من الحديث بعض الشيء عن طفولة أسماء غريب، حيث نجد معالم العرفان بادية منذ الصغر وهْبا لا كسْبا، عطاء لا طلبا، فالقارئ لكتابات أسماء غريب (شعر، قصة، رواية، نقد،حوار) سيجد أن مرحلة الطفولة حاضرة بقوة وبشكل ملفت للنظر، وكأنها تبعث برسالات / إشارات لفك رموزها والكشف عن معطياتها .

أ . في الطفولة : الإشارات والدلالات .

ولدت السيدة أسماء غريب يوم الأربعاء ثاني وعشرين محرم الحرام سنة 1372 هجري الموافق لثامن مارس سنة 1972 (10) بمدينة آسفي، من والدها السيد الشرقي بن محمد غريب (11)، ووالدتها السيدة زينب بنت أحمد أولاد الحاجة (12)، والطفولة كما حددتها أسماء غريب لا تعني العمر البيولوجي فقط، بل للطفولة معاني كثيرة منها " بلوغ الكمال الذي هو أقصر الأجلين (الشباب و الشيخوخة) وفيه يصل المرء إلى شجرة الطور، ثم يرتقي إلى نار روح القدس وأفقها المبين " (13)، والطفولة هي مرحلة النمو والصفاء والطهر وفيوضات الفرح

والابتهاج اللامتناهي، و" قد تشير أيضا إلى مفهوم طفولة البدء والخلق والتخليق داخل الإنسان " (14)، عن هذه الطفولة وعلاقتها بالعرفان تشير أسماء غريب قائلة :

" أنا يا سادتي

مجرد فتاة بسيطة

وإذا ما سألتموني عن اسمي

سأقول لكم : النقطة العارفة

أي نعم، أنا اعرف الله جيدا

لكن صدقوني

لم يسبق لي أن رأيته أبدا

لا بقلبي ولا بروحي .

نعم، أذكر أنني في طفولتي

حلمت بالله

لقد كان الأمر رائعا

لأنني رأيته في الحلم

يبتسم لي

ويلبس ثوبا أزرق فضفاضا

ويغطي رأسه بطاقية القمر

ويُزين وجهه بقرص الشمس

وحينما قصصت الحلم على والدتي

قالت لي وهي تربت على رأسي

بيدها البيضاء الكريمة :

مادمتِ رأيت الله يبتسم لك

فهذا يعني أنه يحبك جدا جدا

قلت لها : نعم يا والدتي

وإني شعرت بذلك حقا

فلقد كان قلبي يرقص من فرط المحبة ." (15)

وطفولتها العارفة بالله ترجع إلى ما قبل الولادة، إلى المراحل الأولى للتخليق، تعبر عن ذلك بوضوح أكثر فتقول :

" كُتِب علي التصوف

مذ كنت مضغة

في أرض أمي"(16)

وبالتالي فهل نحن أمام حالة " انخطاف " في الطفولة ؟

من خلال قراءتنا لما كتبته أسماء غريب فإن ذلك ممكن، فالانخطاف هو " الظاهرة الأكثر خصوصية وسُموا في الحياة الداخلية، وهو الهبة اللّدنية الأولى، وهو لا يتم بإرادة، أو بالإعداد له، وإنما يحدث بغتة بشكل مفاجئ، هبة لدنية من الله، وهو خاص بالأشخاص الكاملين " (17)، ومرحلة الانخطاف الطفولي عبرت عنها أسماء غريب معتبرة أن معارفها لدنية من الله تعالى ولم تحصلها بكسب أو طلب، ولا عن شيخ أو وليّ، تقول موضحة :

" حينما لبست الخرقة كنت طفلة

لم أتجاوز بعد الثماني سنين

ولم يُلبسها لي جدّي ولا أبي ولا حتى أمي

ولكن ألبسنيها ربّي وما أدراك ما ربي " (18)

ولكي لا يذهب خيالك بعيد أيها القارئ الكريم، فإن الخرقة المقصودة هنا ليست ثيابا ممزقة أو مرقعة ذات بعد فيزيقي ومادي، بل هي :

" خرقة العهد والوعد

وما أدراك ما العهد وما الوعد!" (19)

فهي طفولة حافلة بالإشارات والرموز، وبداية طافحة بالدلالات والإيحاءات، تقول :" الصمت منذ البداية لغتي، والإشارة كانت حرفي، هكذا قالت لي والدتي، حينما كانت تحملني بين يدها ولما أتجاوز بعد السنة الأولى من عمري، كنت كلما نظرت إليها رفعت سبابة يدي اليمنى إلى السماء وابتسمت بلطف ."(20)

الطفولة قد تعني المرحلة العمرية / البيولوجية، كما قد تعني طفولة الحروف الأولى قبل الانغماس / الانغراس في علم الأبجدية الكبير والمطلق، والطفولة هي عالم الأحلام والإلهام والبراءة والصفاء والقابلية للنمو والزيادة وتلقي واردات التقديس والرضا، كما أنها تعني التحرر من ثقل الموروث وأكدار الماضي، وهي الصفحة البيضاء القابلة للامتلاء بالفيوضات الربانية الرحمانية، كما تعني الوراثة للعلم والحكمة والعرفان مصداقا لقوله تعالى : " فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا " سورة مريم آية 4/5 " وقوله عز وجل" وآتيناه الحكم صبيا "سورة مريم آية 11، وهذا ما يجعلنا نشير إلى أن الطفولة هي نبع الصفاء المعراجي الموصل إلى ملكوت النقاء والجمال، حيث الفطرة النقية والبراءة الصافية، وفيها تتصاغر الأكوان وتنقش الرؤى ويسبح الخيال، وتتبرعم القيم، وإذا كان النضج هو

مرحلة كشف سر الجواب، لمن وُفِّق في ذلك، وآتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، فإن الطفولة هي مرحلة طرح السؤال، كيفما كان هذا السؤال، حيث كتاب التكليف مرفوع، وقلم العتاب موضوع، تقول أسماء غريب في قصيدة مقام الصمت معبرة عن أسئلة الطفولة البريئة :

" كنت طفلا عندما رأيتك فارسا

وتاج النصر يزين هامتك

ابتسمتُ وسألتك دهشا :

" من أنت "

وضعتَ سبابتك فوق فيك

ثم قلت لي بعينيك :

" أنت بمقام الصمت يا صغيري

فلا تنطق شيئا وأنت في حضرتي "

ابتسمت مرة أخرى ثم قلت لك بعينيّ :

" ولماذا"

قلت لي عندها :

" حتى لا تفقدك الأسئلة بياض الطفولة ."(21)

ولهذا ولغيره كان " الأطفال هم كبار معلمي الإنسانية وشموعها المنيرة، بل أنبياؤها مذ كانوا في المهد رضعا، ولا أحد من البالغين أو الراشدين يمكن أن ينازعهم في ذلك، الأطفال هم من أثبتوا عبر الزمن والتاريخ أن لهم القدرة على قول كلمة الحق في المكان والزمان المناسب ." (22)، ولأسماء غريب طفولتان : طفولة عاشتها مع الخالق سبحانه وتعالى في عالم المطلق، وهي الأصل، وطفولة عاشتها مع الوالدين (23)، الطفولة الأولى تعني بها تلك التي قضتها في

عالم الذر، عالم الملكوت والأرواح، حيث لا وجود للجسد الطيني، وبقي منها شغفها الفطري والعفوي بالله تعالى، بكل تجلياته فوق الأرض، وطفولتها مع الوالدين، خصوصا تأثير الأمّ المحبة لأولياء الله تعالى بآسفي ونواحيها والحريصة على زيارتهم، تقول عن زيارتها الطفولية للشيخ الصّالح أبي محمد صالح الماجري(590هـ . 1194م//631هـ . 1234م) كبير أولياء مدينة آسفي : " هذا الشيخ الولي الذي كانت تحملني أمي إلى ضريحه في طفولتي البعيدة كل ليلة قدر، وأصبحت أذهب إليه حينما كبرت كلما اشتعل بقلبي الحنين إلى ذكريات الطفولة، وإلى تلك الليالي القدرية المُضمّخة بنفحات الذاكرين المسبحين المحوقلين وهم يرتلون القرآن الكريم ويقرؤون إلى الفجر دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ."(24)، وكانت لمدينة آسفي عاصمة التصوف وأرض الزهاد والعُبّاد والأولياء والصلحاء والعارفين تأثير كبير على توجهها الصوفي العرفاني، ولهذا فهي تسمي مدينة آسفي " المدينة العارفة بالله " تقول موضحة هذا التأثير العرفاني النوراني :" منذ طفولتي كانت مدينتي ولم تزل تخطف بصري ببحرها المشمس الصافي، وسمائها القمراء ذات النجوم الساحرة، والجميل في كل هذا أنني كنت أعرف من تكون شموس محيطها الأطلسي، ونجوم سمائها كذلك ... أما الشموس فأعني بها أولياء الله الصالحين وأتقياءه من أهل الزهد والتصوف الذين أثْروا الدنيا بعلمهم وعملهم وفاضوا بوهج النور وعطر الحروف على الأرض من مشارقها إلى مغاربها، وأما النجوم فهي أسماء علماء آسفي الكبار الذين وهبوا حياتهم لشتى العلوم كالرياضيات والميقات والطب والفقه وغيرها من العلوم الأخرى، ولم أك لأعرفهم لولا نزهاتي الطفولية البسيطة التي كانت تحملني من حين لآخر إلى المدينة القديمة وإلى رباط الخير " (25) وتقصد برباط الخير رباط الشيخ أبي محمد صالح مؤسس ركب الحاج المغربي.

إذن فطفولة السيدة أسماء غريب طفولة صوفية عرفانية أثرت فيها مجموعة من الأحداث ومنها مرضها الإكلينيكي، الذي أدى بها إلى غيبوبة عرفانية دامت مدة طويلة حتى ظن الجميع أنها فارقت الحياة، وهي لم تتجاوز آنذاك سنتها العاشرة (26)، والطفولة كما أسلفنا ليست مرحلة عمرية فقط بل هي مقام عرفاني أيضا، لذا فهي تؤمن بأن " تقاسم ذكريات كل طفولة حَبَت بركبتيها ومشت بقدميها فوق بساط هذا الكوكب ما هو في الأصل إلا نفخ من الله في قربة الكون، وبأن كل تبادل يتم بين أبناء آدم لأحداث طفولتهم عبر الحكي والكتابة والبوح هو حبل سري يصل بين كل البشر ويقودهم إلى رحم الأم الأول كي تتم المصالحة والمقاربة والتلاحم بين الأرواح والقلوب ." (27)، ولهذا السبب ولغيره فإن " الإنسان الكامل لا يمكنه أن يرى إلا إذا تخلص من كل الركام الذي يحمله وعاد إلى طفولته العدنية " (28)، ومقام الطفولة المطالب به من يروم الكمال، يقتضي تطهير القلب من الشوائب وإخلائه من الشبهات والشهوات لتحل فيه الأنوار الإلهية الشعشعانية، تقول معبرة عن هذا المقام :

" بالأمس حينما تسربل الليل برداء الخزامى

ألقى الملك فوق سريري بسبعة أساور من نور

ثم قال وهو يرفع ستار الفجر بغرفتي :

" لا تعودي إلي يا صغيرتي إلا وأنت طفلة "

قلت : كيف السبيل وقد اشتعل رأسي شيبا

يا سيدي "

قال : " ابني لي ببيتك مقاما

وأسميه مقام الطفولة "

قلت : " وهل هناك في الدنيا مقام يليق بهيبتك

وجلالك يا سيدي "

قال : " نعم، قلبك وقلب كل محب يا صغيرتي

أضرمي النار فيه واحرقي

كل ما علق بداخله من عناكب الشيخوخة

عندها فقط ستعود إليك طفولتك .." (29)

ب . نقد التصوف التقليدي : خلع الجبة وطرح العصا .

حاولت أسماء غريب بناء نموذجها العرفاني الخاص بها بعيدا عن بعض مفاهيم وقضايا التصوف التقليدي، لكن ذلك لا يعني أبدا القطيعة المعرفية معه، بل هي محاولة منها لتجاوز الخلل الكامن في الممارسة الموغلة في الخرافة والبدعة والتقليدانية، ونقله، على الأقل في ممارستها الشخصية، إلى مستوى أكثر إشراقا وانفتاحا، ونقد التصوف التقليدي يتم عبر مساءلته وتجديد (بدل تجميد) الرؤية إليه، بمعنى حمايته عبر استنبات السؤال فيه، لذلك يمكن القول أن علاقتها بالتصوف بالإضافة إلى ارتكازها على حيوية التجربة وواقعيتها، فهي مرتكزة على المساءلة والانفصال بنفس درجة المراكمة والاتصال، فالمساءلة لا تعني الانفصال، والمراكمة لا تعفي من السؤال، وكأنها تقوم بعمليتين في نفس الوقت : وصل وفصل، من أجل إعادة بنائه وفق نموذج مشرق ومشرف، ومن مظاهر نقدها للممارسة الصوفية التقليدية رفض التصوف الفلسفي القائم على فكرة الحلول والاتحاد التي نسبت إلى بعض المتصوفة، تقول :

" وليس لي حرف آخر أضيفه سوى أن أقول :

لا بد يا سيدي من فاصل

لا حلول ولا انصهار

أنت أنت

وأنا أنا

وبيننا مسافة عشق

وحب وحرية " (30)

وتوضح أكثر فتقول وكأني بها ترد على الحلّاج :

" وأنا لست من أهوى ومن أهوى أنا

لا أحل في أحد ولا يحل فيّ أحد

يحترق الإنسان إن أنا فعلت ذلك " (31)

كما ترفض استعمال بعض المفاهيم / المصطلحات التي دأب بعض أهل التصوف على استعمالها ككلمة " حبيبي " التي ينادون بها الله عز وجل كلما غلبهم الوجد وطار بهم الشوق وتعتبرها " مراهقة صوفية "، فهي تتجنب هذه الكلمة وتدخل لمجال أرحب وأوسع من المناجاة، تقول :

" إلهي

اسمعني اليوم لطفا وكرما منك

لدي شيء جديد

أريد أن أبوح به بين يديك :

لقد غادرت مراهقتي الصوفية

لن أناديك بحبيبي

كما كان يفعل أهل التصوف القدامى

أي نعم، أنت حبيب الروح والقلب

بدون أدنى شك

لكنني لن أكرر هذا الإسم أمامك

فأنا أعلم أنك مللت منه

لكثرة ما يردده الجميع على مسامعك

دون أن يعرفوا معناه الحق." (32)

وهي في عمق مناجاتها لله عز وجل وتبتلها بين يديه في محراب شوقها، تطلب منه، جل شأنه، أشياء جديدة لم يطرقها طلب العارفين من قبل ولا حتى خطرت على قلوبهم، فهي تريد مثلا أن يحدثها الله عز وجل بلغة الفيزياء والكيمياء والرياضيات والشعر... وبعلوم العصر التي ترفع شأن الإنسان وتطور مستوى معيشته، تريد الوسامة والأناقة والبهاء، وكفى من البكائيات القديمة، تقول :

" ثم إني تعبت أيضا

من كل صور وأشكال عرفاء الأمس واليوم

أريد شيئا من البهاء

من النور الأزرق والضياء

من الوسامة والأناقة

أريد لباسا جديدا

وعلما جديدا

فقد ولى زمن البكائيات

وخيال وهلوسة الأقطاب والأبدال

أريدك أنت تجليا للقادم من زمني

بجيوشك الخضر الطائرة

وقصورك العائمة

وأزيائك المتقدمة

وأبراج النور الساحرة

عالِما تأتيني فوق الأطباق

وتحدثني بالرياضيات

والشعر والكيمياء والفيزياء

كل ما مضى مراهقة لا شأن لنا بها

دع رابعة والحلاج والحروفيين وما إليهم " (33)

وهي بهذا تواجه ما ألصق بالتصوف الحق من خرافة وتبلد وخمول وبدعة، وتحاول زحزحة / زعزعة الصورة النمطية المعطوبة و الساذجة المرسومة / المتوهمة عن العرفاء والزهاد وأهل الله، والتي سكنت العقل العربي والغربيّ أيضا " وكأن أهل التقوى والقرب والخلة كُتِب عليهم أن يظلوا هكذا في المخيال الثقافي بصورة مشوهة وسلبية، ولا يرى من خلالها سوى أناس يؤمنون بالترهات والأساطير، ويتبعون ثقافة القطيع المخدر بفكر الخوار والثغاء " (34)،

كما ترفض أيضا فكرة الشيخ الفاعل والمريد المفعول به، وتلك التراتبية التي لا طائل من ورائها، ففي عالم العرفان ما كل من لبس الخرقة / الجبة عارف، ولا كل من لبس المرقعة سالك أو واصل، ولعل قصيدتها " مقام لا تقرئي " تعبر عن هذا الأمر بوضوح تام، تقول :

" قال : لا تقرئي

قلتُ : ولكنّي قارئة

قال : لا تقرئي بغير اسمي

ولا فوق لوح غير لوحي

ولا تفتحي بعد اليوم قرطاسا

قلت : لكن رفوفي تضج بالكتب

قال : احرقيها كاملة

واغسلي بماء الحجة رماد كذبها

وقولي ما ترينه أنتِ

ما تفكرين به أنتِ

الدنيا حولك

السماء والأرض

العين والأذن لك

اليد والقدم

أنتِ وهم

هو ذا كتابك

ظاهر وباطن

علمك وعالمك

معرفتك وعرفانك

فصفي ما ترين وما تسمعين

لا تطرقي باب عارف

أو صوفي أو واقف أبدا

فهم لهم أبواب تخصهم

وأنت لك باب لم يطرقه قبلك أحد ." (35)

وهي بهذا تثمن خطاب النفري القائل في مواقفه:" وقال لي يا كاتب الكتبة الوجهية ويا صاحب العبارة الرحمانية، إن كتبت لغيري محوتك من كتابي، وإن عبرت بغير عبارتي أخرجتك من خطابي " (صفحة 136)، وربما تكون الجحيم ممتلئة ببعض مدعي العرفان والتصوف، فما كل ما يلمع ذهبا، وما أكثر تلبيس إبليس، ولعل هذا النقد القاسي شيئا ما له ما يبرره في الواقع حالا وماضيا، وهو ما عبرت عنه قائلة :

" وذهبنا فعلا إلى الجحيم يا صاحبي

وهناك رأينا ما لا يصدقه بشر،

نعم يا صاحبي

رأينا كبار العارفين القدامى والمحدثين

نساء ورجالا

يحاسبون حسابا عسيرا

على كل ما قالوا و كتبوا

وما زالوا يكتبون

وسيد الأجنحة التسعة عشر يصرخ فيهم :

" تكبكبوا في الجحيم جميعا

أيها الأوغاد،

واللصوص والسحرة

المفرقون بين المرء وزوجه

يا ثعابين الغدر وأفاعي الخيانة

اشربوا الآن هذا الماء الصديد

وقطران الهيم والحميم

فاليوم تنشر أعمالكم

وتفضح أفعالكم

كي يعرف الجميع

من تكونون حقا وحقيقة " (36)

وهي عندما ترفض فكرة الشيخ والمريد، الفاعل والمفعول به، فهي تؤكد على أن تجربتها العرفانية هي نتيجة تجربة شخصية ابتدأت في الصغر، وترى أن على كل إنسان أن تكون له تجربته الروحية المتفردة، ليشق بها طريقه نحو الملكوت الداخلي، وهذه التجربة الروحية الشخصية كفيلة بأن تعيد للإنسان ترتيب ما يزعزعه الناس بجهلهم وغرقهم في المادة والفكر السطحي (37)، وهي وإن انتقدت التصوف التقليدي / الطرقي وما آل إليه من نكوص وخرافة، فهي تبقى متأثرة بالمواقف العرفانية لبعض رموز التصوف كالقاضي محمد بن عبد الجبار النفري (ت 354هـ) صاحب "المواقف والمخاطبات "، وللإشارة فهذا العرفاني الكبير تأثر به مجموعة من الشعراء المحدثين مثل : محمد بنيس، أمينة المريني (38)،أديب كمال الدين(39) أدونيس...ومعلوم أن تجربة النفري تقوم على أساس الفناء عن السّوى / الغير والوقوف مع الله، وما يقتضيه ذلك من فناء العبد عن أوصافه الذميمة والتحلي بالأوصاف الحميدة، كما تقوم تجربته على أساس الوقفات " في المقامات والأحوال، وهي وقفات تتخذ منحى تصاعدي من العلم ثم المعرفة ثم الوقفة "(40)، والوقفة تقوم على أساس الحوار بين العارف / الواقف

والمطلق / الله، والوقفة هي " ينبوع العلم " (41) و" ينبوع المعرفة "(42)،وإيقاظ القابلية لتلقي التجلي، و أسماء غريب استلهمت من النفري موتيفة الوقفة في بعض قصائدها الجميلة، وظفتها بإبداعية رائعة، وهو ما يعتبر تثمينا للمتن الصوفي من جهة وإخصابا لمنجزها الشعري من جهة ثانية، وبهذا تكون قد وضعت نفسها في موقف الواقف في حضرة الشهود، وكأنها تتلقى المعارف اللدنية والهبات الرحمانية دون وساطة الشيخ، وبالتالي استحقت الولاية العرفانية، ونورد هنا بعض النماذج من شعرها، ففي قصيدة (مقام الصدق) تقول :

" أدخلني في محراب الصخرة وقال :

" أرأيت كيف صنعت هذا المحراب ؟

أرأيت كيف رصصت بعزتي وجلالي

الحجر الصلد بداخله

وكيف وضعت أمام بابه حاجبا

من كبريت نقي شفاف ؟ " (43)

وتقول في قصيدة (مقام إبراهيم) سائرة على نفس النهج:

" أدخلني قلب سارة وقال :

" أرأيت أين زرعت حبي لإبراهيم ؟

أرأيت أين أقمت له محرابا من صبابة وعشق حارق ؟

أرأيت كيف في قلبه بَرْعمت هاجر؟ " (44)

وفي قصيدة (مقام الغوث والثور والتنين) تقول :

" أدخلني مقام الغوث وقال :

" السلام عليك أيها الشاعر البنفسجي الحزين

مالي أرى قزحة عينيك تزداد كل يوم اتساعا

وحال أيامك تزداد كل ساعة ضيقا !" (45)

وسارت على نفس الأمر في قصيدة (مقام روما) (46)

كما تؤكد مزايلتها / رفضها للألقاب والصفات والأسماء التي اعتاد بعض المتصوفة إطلاقها / استعمالها من قبيل (الأوتاد) و(الأقطاب) و(العارف بالله) ... فهي، كما خرقة التصوف، تحجب عن وجه الله الكريم تقول :

" آآآه يا صاحبي في خمرة الجوى

أما زلت لم تعرف بعد

أن خرقة العرفان حجاب عظيم

يحجبك عن وجهه الكريم ؟

فمتى ستتوب أيها العاشق الأحمر

أنت وخلانك العرفاء

متى ستتعرى بكاملك متى ستهجر كل شيء

كل شيء حتى أنا،

وتلك الألقاب الرنانة من قبيل " العارف بالله " " (47)

كما ترفض ذلك النوع من التصوف القائم على أساس الأوهام والمبالغات والشطحات والترهات، فهي العارفة بالله حقا، الصوفية حقيقة، غير طامعة في كرامة مادية محسوسة، وغير راغبة في شيء من متعلقات العالم الأرضي مما يلهث وراءه بعض مدعي الكرامات والخوارق، فالكرامة قد تكون استدراجا أو حجابا، أو تلبيسا إبليسيا، ولا كرامة كالاستقامة كما يقال، تقول مبينة موقفها / طريقها العرفاني :

" إلهي،

لم أطمع يوما في الوقوف أو المشي فوق الماء،

البعوضة سبقتني إلى هذا الأمر،

ولا في التحليق وسط زرقة السماء

الغراب فعل هذا قبلي

ولا في أن تكون أباطرة الجن تحت حكمي وإمرتي

جدي الإفريقي صاحب سلهام الإخفاء

قام بهذا منذ سبعين عاما أو ما يزيد

ولا في أن أبرئ الأكمه ولا الأبرص

ولا حتى في أن أحيي الموتى بإذنك

رجال من أنبيائك وصلوا إلى كرامات كهذه قبلي

كل ما أريده، نظرة عشق حارقة منك

كلما سجدت لك عند السحر،

نظرة عشق تصل فؤادي العاشق

كل يوم بعناية لطفك

كي ترى ألا معشوق

ولا معبود فيه سواك "(48)

وتواصل أسماء غريب نقدها للتصوف لكن هذه المرة نقد التصوف "الحديث " أو ما يسمى " العرفان الحداثي " المتملص من الفرائض الدينية، والبديهيات العرفانية، والواجبات الأخلاقية، ولعل قصيدتها (حداثة عرفانية) خير معبر عن هذا الموقف، تقول موضحة :

" أأرمي الخرقة الآن

أهذا ما تريده اليوم يا إلهي ؟

إذن أجبني لطفا عن سؤالي :

لماذا هذه الخرقة التي لبستها

منذ أزيد من عشرين سنة

يصر الجميع اليوم على ارتدائها ؟

حتى الشويعرات المثليات

والشويعرون المهرجون

في أسواق الحرف والورق الأصفر

أيعقل هذا يا إلهي ؟!

أجبني الآن، وقل لي :

أيجوز ألا يصلي العارف

أو لا يصوم ؟

أيجوز له مثلا أن يزني

أو أن يشرب من خمرة العربدة

إلى أن يغيب عن الوعي ؟

نعم، نعم يجوز

هكذا يقول أهل العرفان اليوم

أعني العرفان المعاصر

أو دعني اسميه العرفان الحداثي

نعم، هم يقولون

يجوز للعارف ما لا يجوز لغيره

ويقولون أيضا من عرف الله

سقط عنه حكم الشرع والشريعة

... خلاصة القول يا إلهي

هذه الخرقة التي يلبسها الناس اليوم

هكذا وبدون سبب

لا أريدها .

أجل، لا أريدها

فلا أنا منها ولا هي مني

فخرقتي حيائي

وحميمية الحديث والمناجاة بيني وبينك

لا أتباهى بها بين الناس أبدا

خرقتي صمتي وصبري

حتى على من يؤذيني " (49)

بعد أن تنتقد التصوف التقليدي المبني على المبالغات والشطحات، وتُزايل بعض مفاهيمه، وتدعوا لنفض الغبار عليه، وتحريره مما علق به بدع وخرافات على مر السنين، وتنتقد "العرفان الحداثي" المتملص من البديهيات الأخلاقية، وتنتقد " العرفاء الشياطين الذين يطاردون العارفات العفيفات الغافلات "(50)، تؤسس / تقدم تجربتها / رؤيتها العرفانية الشخصية والقائمة على أساس تهذيب النفس الإنسانية والبحث عن السلام الداخلي والتبشير به .

ج ـ معرفة النفس وتهذيبها أساس كل سلوك عرفاني :

تتلخص فلسفة أسماء غريب العرفانية في حكمة مفادها أن " خير العارفين من عرف نفسه، وخيرهم من عرف ربه "(51)، وكأنها تستلهم قوله تعالى عن النفس الإنسانية " قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها " سورة الشمس 9/10، وقديما قال الفيلسوف اليوناني أفلوطين (204م / 270م) :" إذا أردت أن تدرك العقل والعالم الروحاني فتأمل نفسك وما فيها من الأدناس والأوساخ وآثار النفس البهيمية، فانفض ذلك عنها "(52)، وهي في كل كتاباتها المشرقة تدعو قارئها الى العكوف / الوقوف على معرفة نفسه، والغوص في ثناياها وخباياها ليخلصها من أدرانها وأوحالها، كي لا تحجبه عن الوصول والوصال، وليستكمل رحلة معراجه الروحي نحو عوالم النور المطلق والكمالات اللامتناهية، وأهم ما يمكن أن يقوم به الإنسان في حياته هو " أن ينجو بروحه من نفسه " (53)، فمن زكّى نفسه وأصلحها كان كاملا محبوبا، وبعين العناية مصحوبا، وكان بحره زاخرا، وأمره ظاهرا، ومن دسّاها وأنكر خطرها عاش محروما

ساخطا، وكان ناقصا ساقطا، لذا كان على الإنسان الراغب في بلوغ الكمال العمل على نقل نفسه من مرتبة إلى أخرى أعلى منها، نقلها من مرتبة النفس الأمارة إلى مرتبة النفس اللوامة ليصل بها إلى مرتبة النفس المطمئنة الراضية المرضية المشتعلة بنور الله الأعظم، المشتغلة بالبحث عن الخلاص والانعتاق، تقول :

" حينما قيل لي ادخلي هذا الجسد آمنة

وجدت فيه أُما، هي روحي

وأبا هو عقلي

وأربعة إخوة هم، نفسي الأمارة

وأخرى اللوامة

والثالثة المطمئنة

ثم قلبي الأخضر " (54)

فمهمة الإنسان الحقيقة هي محاولة إحياء الجوهر الكامن فيه عبر معرفة نفسه وتزكيتها والرجوع بها إلى صفاء ينابيعها الأولى، وهذه التزكية هي معركة الإنسان الأساسية و الجهاد الأكبر، و" لعله مسارا آخر من مسارات الخلق لا بد من خوضه، ولا بد فيه من العودة إلى بحر التخليق الهلامي الأول ليلبس الناس أجسادا أخرى بقلوب طيبة وأرواح أكثر صفاء ونقاء مما مضى " (55)، وكلما جال الإنسان داخل نفسه وعرفها وحاورها وزكاها، كلما استعاد ثقته بها وأصبح " أكثر قدرة على تفعيل الكثير من القوى والكفاءات بداخله، ليكتشف بحق لماذا سجدت له الملائكة وهو في حضرة الملإ الأعلى " (56)، ولذلك كانت أعمق الحوارات هي تلك التي تكون مع النفس، لأنها تحرر الإنسان من مكبوتاته وأحزانه وأفكاره، وتساعده على الرؤية بشكل واضح "(57)، إذن فمشروع أسماء غريب العرفاني يقوم على تهذيب النفس

الإنسانية باعتبارها العالم الأكبر المطالب الإنسان بغزوه وتحريره واستكشاف أسراره، وكأني بها تردد مع الإمام علي بن أبي طالب حكمته الشهيرة:

داؤك فيك وما تبصر دواؤك فيك وما تشعر

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

في عالم مليء بالأنانية والغرور والحروب والدمار والأمراض والكوارث ... يكون الإنسان في حاجة ماسة لاستكشاف نفسه وتهذيبها ليعرف مكانته بين الخلائق، حينها فقط تزكو النفوس وتزهر الأرواح، وتشق طريقها نحو الملكوت الداخلي، وقلة قليلة من تسعى لذلك وتعمل عليه، هُم الكبريت الأحمر في عالم الناس، أقل القليل، آحاد أفراد، شموس الدنيا، ملوك الآخرة، بهم تمطر الأرض ويستسقى الغمام، بهم يرفع البلاء ويدفع العناء، مجهولون في الأرض معروفون في السماء، أفلحوا وربحوا، تتنزل عليهم أنوار الفيض الإلهي وشوارق المحبة السائغة، وإياك أيها القارئ العزيز أن تظن أن معرفة النفس وتزكيتها وتهذيبها مهمة سهلة، أو محصورة في مدة زمنية محددة، فأحيانا " لا تكفي الحياة بأسرها كي يعرف المرء من هو أو كيف يكون وجهه الحقيقي" (58)، ولهذا قال أحد العارفين :" انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم، فإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا " (59)، ولذلك كان الظفر بالنفس والتجوال في كهوفها الغائرة ولجم نزواتها الفائرة، ومعرفة وهادها الصعبة ومفاوزها الوعرة، ومعالجتها تربية وتهذيبا، والعروج بها نحو آفاق الكمال هو سر السر، وهو المراد و المأمول، وهو غاية التربية ونهاية التجربة، ولهذا أو لغيره قال العارف النفري :"وقال لي اعرف من أنت، فمعرفتك من أنت هي قاعدتك التي لا تنهدم وسكينتك التي لا تزل " (60)

د ـ أسماء غريب : سفيرة السلام وإنسانة الوئام .

البحث عن السلام والدعوة إليه قضية إنسانية مطلوبة، فضلا عن كونها قيمة دينية معروفة، والسلام يتطلب وجود " إنسان السلام "، وما كُلّ من تكلم عن السلام فهو من أهله، فليس "إنسان السلام من يدعو إلى السلام والوئام مع البشر والطبيعة فقط، ولا هو المسالم مع نفسه ومع الآخرين، ولا هو ذاك الذي يعارض الحرب، إنسان السلام هو قبل هذا وذاك الرجل الذي يصل إلى حالة الصمت المطلق بعد سفر روحي عميق وطويل، إنه يشبه بحيرة كبيرة صافية صامتة، لا يعكر صفوها شيء أبدا، وهو يشيع من حوله بصمته هذا طاقة جديدة للحياة، ويغني أنشودة جديدة للنقاء والطهارة والصفاء " (61)، السلام يقتضي وجود رجال ونساء يفهمون ويعون جيدا المدلول الحقيقي للسلام ويعطونه مضمونا وجوهرا ليبشروا به في عالم الخواء والخراب والحروب والأمراض والجهل ... " إنسان السلام حياته بركة البركات، صلاة ودعاء مستمرين، إنه مشارك للمحبة على أوسع نطاق، حتى أن أي إنسان قد يجلس معه ولو للحظات قصيرة يمكنه أن يشعر بالأمان "(62)، وإنسان السلام في الأخير هو حامل لجميع الصفات الإيجابية من حب وخير وعفو وتفاؤل،" مبدع بامتياز، خلاق وعاشق " (63)، حيوي الروح، مشرق النفس،عملي الفعل، مستنير الفكر، معارض للخمول والكسل والتواكل ... وهو في فيوضات دائمة، وإشراقات متواصلة من المحبة والعطاء والكرم والشفقة والفرح والبهاء، وأسماء غريب تحمل الكثير من هذه الصفات وتبشر بها عبر إبداعها المتنوع، وهي إحدى تجليات " إنسان السلام "، بل لا نبالغ إذا وصفناها بسفيرة السلام، فهي تدعو للسلام الداخلي وتبشر به، وتدعو لمعرفة النفس وتحقيق السلام معها، وإيقاظ قابليتها لتلقي الأنوار

القدسية، ولا عجب فهذه السيدة مفطورة على الفرح والصفاء وبهاء الروح، وكأنها شجرة وارفة الظلال تحولت إلى إنسانة تظلل الحياة بأغصان السلام (64)، أو كأنها ممهورة بميم الوئام المحمدي واسطة الفيض وخير من دعا للسلام، أو كأنها مختومة بعين العروج العيسوي نحو آفاق المحبة والإخاء الإنساني، فهي " صوفية ولها قلب عفيف رهباني وئامي ومتنور بالمحبة والعطاء الخلاق، وروحها صافية صفاء المطر، ومبللة بخيرات نعيم السماء "(65).

أسماء غريب المكللة هامتها بالنقطة المحمدية، والمعمد قلبها بعطر الزنبقة العيسوية، والمدثر جسدها بلحاء شجرة الغار الموسوية (66)، استلهمت في تجربتها العرفانية روح الرسالات السماوية، واستوعبت جوهر الأديان الربانية وما تحمله من دعوات متكررة للسلم والسلام والمحبة والإخاء والتعارف الإنساني والتضامن والتعاون على الخير، فالإنسان أخ الإنسان بغض النظر عن وطنه وجنسه ودينه ومذهبه، فهو إما أخ له في الدين أو نظير له في الخلق، ولا فضل للإنسان إلا بما يقدمه من خير للإنسانية وازدهارها، ولهذا فهي تمثل بدعوتها للسلام " أنموذج راق عن تآخي الأديان، إنسانة منفتحة بروحانية عالية على رحابة آفاق الأديان، وتستشرف رحيقها الأسمى وجوهرها الأنقى، وتسير بموجب ما يقنعها من رؤية روحية وئامية خلاقة، كأنها تنتمي إلى دين الإنسان، ودين الأديان السماوية المتناغمة مع آفاق رب السماء " (67)، واستيعاب هذا وتفهمه يتطلب شفافية في الروح، وتوهجا في العقل، نورا في القلب، وعمقا في الفهم، وقبل هذا وكله توفيقا من الله عز وجل نور السماوات والأرض، لهذا تبدو أسماء غريب في كتاباتها / دعوتها كأنها " رسولة المحبة والكلمة الطيبة والسلام والوئام بين كل البشر ... مؤمنة كونية بكل ما هو إبداعي جميل وروحي وسماوي بطريقة هادئة شفيقة رحيمة حنونة مضيئة مثل شمعة للبشر كل البشر، فلا يشعر من يتابع كتاباتها وقراءة أفكارها وقصصها ونصوصها، إلا وأنه أمام طاقة روحية فكرية إبداعية صافية

ومشبعة لفعل الخير والفضيلة والمحبة والتواصل مع الخالق رب السماوات بكل صفاء، وجُّل اهتمامها منصب على ترسيخ قيم السلام بين البشر " (68)، وكما أسلفنا فإن السلام الحقيقي الذي تدعو إليه أسماء غريب ليس هو سلام المؤتمرات تحت أضواء الكاميرات، ولا سلام الجوائز العالمية، بل السلام الداخلي للإنسان باعتباره " قضية القضايا الكبرى" (69)، وهو " حالة سامية من حالات الموت الأكبر ... الموت عن الماضي، والموت عن الحاضر، والموت عن النفس، والموت عن الموت نفسه، لأن السلام هو قيامة الله داخل الجسد الإنساني، وداخل القلب والعقل والروح " (70)، وهذا السلام المنشود يقع في مقابل الغفلة والاحتجاب عن الحقيقة ، وفي مقابل الخوف والحرب (71)، وبالتالي فتحقيق معادلة السلام الداخلي لن تتأتى إلا بالكثير من المجاهدة والمصابرة والمثابرة، من أجل الرقي بالنفس والإنسانية جمعاء وانتشالها من وهداتها والسمو بها في عالم الأقداس، والعروج بها نحو الملكوت الأسمى حيث المقام الأعلى والمورد الأحلى، " من أجل ختم مسار الحياة بالنجاة "(72).

إن السلام الحق، ليس كلاما عابرا في لحظات عابرة، ولا خطبا جامحة في سوق المؤتمرات، ولا لباس المرقعة والتحلي بالثياب المقطعة، بل هو " حالة روحية يتم الوصول إليها بقطع أشواط مكثفة وعميقة من العمل على حفر الذات البشرية وصقلها، وتشذيب عيوبها ونواقصها للوصول بها في نهاية المطاف إلى حالة إنسان السلام،وهذا أمر لا يبدأ في أية مرحلة من مراحل عمر الإنسان، ولكن على عكس المتوقع يبدأ منذ مرحلة المضغة ويستمر خلال رحلة الحياة الطويلة القصيرة حتى يصل إلى مرحلة الشيخوخة " (73)، إنها رحلة تستغرق عمر الإنسان، وتستحق هذا العناء لأنها مرتبطة بمصير الإنسان، والسلام المقصود هنا هو " سلام الروح والبدن والعقل، فإذا سلِمت في الإنسان كل هذه الأشياء سلم العالم من شره "(74)، لذا كلما حقق الإنسان سلامه الداخلي كلما استطاع الولوج إلى عوالم الملكوت

الإلهية البهية، عوالم الحكمة والرضى والسكينة والعشق والجمال، فمن المنطقي أنه " لا يمكن لإنسان لا يحاور نفسه أن يسعى لمحاورة غيره، وهذا يعني أن الهدف الأساس يجب أن يكون تحقيق السلام والتواصل والمحبة والوئام مع الآخرين " (75)، والعكس صحيح فعندما يغيب السلام الداخلي عند الإنسان تكون النتائج كارثية على الإنسان نفسه وعلى محيطه : حروب، زلازل، حرائق، أمراض ... (76).

عموما يمكن وصف التجربة العرفانية عند أسماء غريب بكونها تجربة عرفانية منفتحة على العالم وتجاربه الحية قديمها وحديثها، ومنفتحة على الحياة ومتطلباتها من علم وعمل وزواج وتمتع بالطيبات ... وغير منغلقة على النفس، بل هي تجربة حيوية مستنيرة مرتبطة بالواقع وتحدياته وآفاقه وطموحاته، بمعنى أنها تجربة مبدعة ومتألقة ومتوقدة غير خاملة ولا خامدة، وبالتالي يمكن القول إن أسماء غريب تمزج في تجربتها الشخصية بين العرفان كتجربة وجدانية ذوقية سلوكية وكتجربة معرفية، وطريقة في الإبداع .

هوامش :

1 . قصيدة (لماذا أكلت الثعبان وتركت الرمانة)، ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 155

2. من قصيدة (واعجبي)، ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 161

3. من قصيدة (حبل نجاة)، ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 119

4. رواه البخاري صحيح البخاري / حديث رقم 4777

5. **من قصيدة (ليلة بيضاء) ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 75**

6 . **من قصيدة (مقام الخمس عشرة سجدة)، ديوان مقام الخمس عشرة سجدة صفحة 55،، دار الفرات للثقافة والإعلام العراق . بابل الطبعة الثانية 2016**

7 . **من قصيدة (مقام المذياع)، ديوان مقام الخمس عشرة سجدة صفحة 57/58**

8 . **انظر أدونيس الصوفية والسوريالية صفحة 130، دار الساقي بيروت، الطبعة الثالثة**

9 . من قصيدة (عيادة عرفانية) ديوان مشكاة أخناتون صفحة 246

10 . على الساعة الثامنة بمستشفى محمد الخامس شارع الرئيس كينيدي

11. **المزداد بأولاد بوموسى دار ولد زيدوح إقليم بني ملال جهة تادلا أزيلال سنة 1361هـ/ 1942م، التحق بوزارة العدل سنة 1959 أي في عمر السابعة عشرة، عمل كاتباً للضّبط، ومحققا في سلك النيابة العامة بمحكمة الاستئناف، ثم محررا قضائيا، كان يقطن بحي بياضة شمال آسفي وقت ولادة السيدة أسماء ، وثيقة خاصة وانظر أيضا أسماء غريب رحلة المئة سؤال وجواب ج 1 صفحة 27**

12. **مزدادة بمراكش سنة 1370هـ/ 1951م**

13. أسماء غريب : يوسفيات سعد الشلاه بين الأدب والأنثربولوجيا، قراءة في ديوانه (كفّ أمي) ضمن كواكب على درب التبانة صفحة 359

14 . أسماء غريب : كواكب على درب التبانة ج 1صفحة 62

15 . قصيدة (فتاة من هذا الزمن)، ديوان مشكاة أخناتون صفحة 57/58

16 . من قصيدة (هودج أخضر)، ديوان مشكاة أخناتون صفحة 181

17 . أدونيس الصوفية والسوريالية صفحة 43

18. 19 . من قصيدة (امتحانات الخرقة)، ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 192

20 . رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 82 .

21. من قصيدة (مقام الصمت) ديوان مقام الخمس عشرة سجدة صفحة 46

22 . رحلة المئة سؤال وجواب ج 1 صفحة 145

23. انظر رحلة المئة سؤال وجواب ج 1 صفحة 24

24. أسماء غريب : مدينتي العارفة بالله ضمن ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 9

25. نفسه صفحة 100

26. وقد حكت أسماء غريب عن هذه الغيبوبة العرفانية والمرض الإكلينيكي (رمضان 1982) في مجموعتها القصصية أنا رع

27 . قراءات من ذاكرة الحرف صفحة 264

28 . أسماء غريب : النقطة الجريحة والحرف المتشظي الباكي في تشكيلات الدكتور عصام فرمان، ضمن كواكب على دروب التبانة صفحة 516

29 . من قصيدة (مقام الطفولة) ديوان مقام الخمس عشرة سجدة صفحة 47

30. من قصيدة (ناعورة العيد) ديوان مشكاة أخناتون صفحة 101

31 . من قصيدة (مقام الخمس عشرة سجدة) ديوان مقام الخمس عشرة سجدة صفحة 55

32. من قصيدة (ما زلت في الغار)، ديوان مشكاة أخناتون صفحة 120

33 . نفسه صفحة 121/122

34 . كواكب على درب التبانة صفحة 323

35 . من قصيدة (لا تقرئي)، ديوان مقام الخمس عشرة سجدة صفحة 16/17

36 . من قصيدة (السر الرابع) ديوان مشكاة أخناتون صفحة 36/37

37 . انظر رحلة المئة سؤال وجواب ج 1 صفحة 130

38. شاعرة مغربية من فاس عضو رابطة الأدب الإسلامي،من دواوينها (المكاشفات) و(المكابدات) و(سآتيك فردا)

39 . شاعر عراقي مقيم باستراليا، انظر ديوانه مواقف الألف وقد أهداني منه نسخة إلكترونية مشكورا

40 . انظر سامية بن عكرش : تفكيك عناصر المقدس الإسلامي في سرود المواقف للنفري ضمن كتاب : المقدس والتاريخ صفحة 91 سلسلة ملفات بحثية الرباط 2016

41. كتاب المواقف والمخاطبات لمحمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري، عناية وتصحيح أرثر يوحنا أربري،صفحة 10 مكتبة المتنبي القاهرة

42. نفسه صفحة 12

43 . من قصيدة (مقام الصدق) ديوان مقام الخمس عشرة سجدة صفحة 42

44. من قصيدة (مقام إبراهيم) ديوان مقام الخمس عشرة سجدة صفحة 59

45. من قصيدة (مقام الغوث والثور والتنين) ديوان مقام الخمس عشرة سجدة صفحة 66

46. انظر قصيدة (مقام روما)، ديوان مقام الخمس عشرة سجدة صفحة 77

47 . من قصيدة (يا شارب الخمر)، ديوان مشكاة أخناتون صفحة 46/47

48. من قصيدة (نظرة عشق) ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 195

49. من قصيدة (حداثة عرفانية) ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 189

50 . من (قصيدة السيارة رقم 72) ديوان مشكاة أخناتون صفحة 75/76

51. أسماء غريب : ديوان مشكاة أخناتون صفحة 221

52 . كامل محمد محمد عويضة : ابن ماجة الأندلسي الفيلسوف الخلاق صفحة 72، دار الكتب العلمية بيروت

53. رحلة المئة سؤال وجواب ج 1 صفحة 35

54. من قصيدة (شوجار دي روبنسون) ديوان مشكاة أخناتون صفحة 177

55 . أسماء غريب : السيدة كركم (رواية) صفحة 56، دار الفرات للثقافة والإعلام، بابل العراق 2019

56. رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 210

57 . نفسه صفحة 168

58 . من قصيدة مقام البدر والشمس ديوان مقام الخمس عشرة سجدة صفحة 15

59. صلاح عبد الصبور : حياتي في الشعر صفحة 24 دار العودة بيروت 1977

60 . المواقف والمخاطبات صفحة 61.

61. رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 194

62 63 . نفسه

64 . رحلة المئة سؤال وجواب ج 1 صفحة 68

65 . صبري يوسف تقديم كتاب رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 19

66 . السيدة كركم صفحة 15

67 . صبري يوسف مقدمة مئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 20

68 . نفسه صفحة 19/20

69 . رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 29

70 . رحلة المئة سؤال وجواب ج 1 صفحة 25

71 . نفسه صفحة 29 و صفحة 30

72 . رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 29

73 . رحلة المئة سؤال ج 2 صفحة 77/78

74 . نفسه صفحة 78

75 . نفسه صفحة 168

76 . نفسه صفحة 151

أسماء غريب شاعرة مقامات اليقين

أشير بداية إلى أن هناك صعوبات جمة تعيق تناول الشعر العرفاني / الصوفي، ليس لغموضه، بل لانفتاحه على آفاق رمزية واستعارية وتأويلية متعددة ومتداخلة، ولم تعد القصيدة " مجرد بستان وارف الظلال يقصده المرء للراحة والاستجمام، بل أصبح هما مؤرقا، وأصبحت عملية قراءة النص عملية شاقة تحتاج إلى قارئ مثقف لا يكتفي باستهلاك النص، وإنما يساهم في عملية بنائه أيضا " (1)، فالقارئ الذي أَلِفَ برودة الوضوح وجاهزية المعنى سيجد صعوبة في التعامل مع هذا النوع من الشعر المليء بالانزياحات اللغوية والتداخلات الإشارية، ويَمْتَنِحّ من حقول دلالية لا يلجها إلا من كان عارفا بمفاوزها وخبيرا بمهاودها، فهو شعر عرفاني لا يمكن الوصول إلى أعماقه والظفر بتأويله والتجاوب معه دون الاغتراف مسبقا من مشكاة العرفان ، والتزود من معين الخطاب الصوفي، حيث تحضر اللغة الإشارية / الرمزية بدلالاتها ورموزها ورمزيتها ونظرتها الخاصة والمتفردة للعالم / الوجود وقضاياه، ولا نبالغ إذا قلنا أن الرمزية الصوفية بتيماتها المتنوعة هي الأكثر حضورا في البوح الشعري لأسماء غريب (تسعة دواوين صوفية)، حيث تحضر نسائم الفيوضات الربانية وهفهفات النفحات الرحمانية،

وأنوار الفتوحات القدسية المدثرة بمعاني الطهر والقداسة والعشق والولاية والحضرة والتاريخ ... وبالتالي فنحن " أمام تداخل إبستيمولوجي / تاريخي بين كل من منطق الرمز، ومنطق الشعرية " (2)، وبما أن نصوصها الشعرية تحفل بالتناصات العرفانية والقدسية وتعلن انتماءها الواضح والصريح إلى عالم التصوف، وبما أن المعاني تتوارى خلف الرموز والاستعارات والانزياحات اللغوية ، فإن قراءة هذه النصوص يحتاج إلى تفكيك لغتها الرمزية واستدعاء مناهج تحليل مناسبة وكذا الاستعانة بعلوم مساعدة كالتاريخ والتصوف واللسانيات والسيميوطيقا ...وكذا الاطلاع على السيرة الشخصية للشاعرة والإلمام بتجربتها العرفانية التي بدأت منذ الصغر، لأننا أمام خطاب صوفي غير منقطع عن التجربة الشخصية، ونحن أيضا أمام لغة عرفانية عالمة مؤسسة على تجربة حية / حسية مسنودة بسياقات تاريخية وعرفانية حقيقية وليست مجرد ترف فكري لتزويق المنجز الشعري، وبالتالي فالشعرية العرفانية لدى الشاعرة هي تجربة مزدوجة : تجربة في الشعر وتجربة في العرفان، ومنه فالقول / البوح الشعري ليس مجرد تعبير عن إبداع لغوي، بل هو تعبير أيضا عن فيض روحاني ورؤية وجودية وانوجادية في قالب فني، وهو ما يعطي للخطاب الصوفي عند أسماء غريب أبعادا واقعية وليست تخييلية فقط، بالإضافة طبعا إلى أبعادها الرمزية والإيحائية والدلالية، وبالتالي فالبوح الشعري عندها " يحافظ على هويته وانتمائه إلى نسق التصوف العام في الكتابة ... وهو يضع نفسه ضمن دائرة قرائية محددة مع ما فيه من جدة في استلهام تجارب صوفية متنوعة، وبعثها في نص يضيء لنا في النهاية تجربة واحدة ترجع إلى تجربة أسماء غريب نفسها " (3)

إن اللغة الرمزية التي تستخدمها الشاعرة، كغيرها من شعراء العرفان، تفتح آفاقا تأويلية وقرائية رحبة وواسعة، على اعتبار أن اللغة الرمزية / العرفانية من جهة كثيرة الدلالات ومفتوحة على أكثر من قراءة وأكثر من تأويل/ فهم، ومن جهة أخرى فاللغة الرمزية تعاني من

"ضيق العبارة" على حد تعبير النفري، والتي لا تعبر بالشكل المطلوب عن آفاق الفكر / الرؤية / المعنى الواسع واللامحدود، فهل أسعفت اللغة شاعرتنا للتعبير عن خوالج نفسها ومكنونات روحها، وبالتالي بناء صورتها الشعرية ورؤاها الإبداعية ؟

وهل كانت الكلمات والعبارات متناسقة مع لحظات التوهج الشعري والتدفق الإبداعي والإشراق الروحي ؟

لقد عبرت الشاعرة عن هذا الإحساس من عدم مواكبة اللغة ومحدوديتها أمام عالم البوح الواسع قائلة :" اللغة كما يفهما عامة الناس هي بالنسبة لي قيد وسجن، إنها حجاب كثيف يحول دون الماء والهواء ويخنق الحياة في الجسد " (4)، وهي بهذا وفية لما سار عليه العارفون قبلها، وعلى رأسهم النفري الذي صرح بأن " الحرف حجاب وكلية الحرف حجاب وفرعية الحرف حجاب " (5)، وعبرت عن ذلك شعرا فقالت :

" لماذا تقيدني بالحرف في حضرتك

وأنت تعلم أن اللغة سجن كبير

والبوح زبد وصدف على الشطآن

لماذا و الكلمة بين يديَّ تشتعل وتنطفئ

وأنت . ولا أنا . عاشق

لا حاجة له بالحرف

ولا باللغات ؟

لنكن يا مولاي صمتا أبديا

وصلاة في فجر قطبي " (6)

لقد سبق أن أشرنا إلى أن جل الباحثين وحتى الشعراء العرفاء اعتبروا أن اللغة قاصرة عن التعبير عن واردات الشاعر العرفاني، وكلنا يتذكر مقولة النفري " كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة " (7)،وهذا ما يستدعي من الشاعر/ الشاعرة اللجوء إلى الرمز والمجاز من أجل ضمان انفتاح دائم ومستمر للمعنى، ومن أجل " جعل المقروء يعثر على تعدد وجوهه في التأويل " (8)، وهو الأمر الذي سارت عليه أسماء غريب في منجزها الشعري، أي المزج بين سمو العبارة وسر الإشارة، كي لا يطلع الغرباء على سر الشعر (9)، وهو ما يجعلنا نؤكد أن تجربتها الشعرية في أحد جوانبها هي تجربة لغوية، تستخدم الرمز والإشارة للتعبير والبوح، حيث المعاني المتعددة، المباشِرة والمحتملة، والدلالات الموسعة، وهو ما يستدعي السفر عبر ثنايا الكلام وخفايا اللغة وخبايا التخييل لتظفر بالمعنى، فالقارئ يجد نفسه في أفق انتظار لا متناهي من الدلالات والتأويلات وفيوضات المعاني، وكأنها تكتب شعرها " بماء الذهب الصافي، بالندى، بالماء الزلال، بهفهفات هبوب النسيم، بإشراقة الشمس، بانبعاث أحلام الطفولة، بصفاء زرقة السماء، ببسمة النجوم وهي تضيء حنين الروح إلى البيت العتيق . تكتب وكأنها في حالة حلم مفتوح على فراديس النعيم، رحلات حرفها تموج بغبطة الروح وهي في أرقى تجلياتها، تُمَوْسق حرفها على إيقاع المحبة والسلام والفرح المنبعث من نور الأزل " (10)

شعر أسماء غريب هو شعر مرهف حساس، يلخص نظرتها للحياة وللكون والنفس، وفق منظورها العرفاني ، يتجاوز البنية الخارجية للكلام، بمعنى أنه شعر رمزي . كغالبية الشعر الصوفي . يحتاج إلى استنطاق وتأويل للنفاذ إلى عمق المعنى، ونقله من رمزية الإشارة إلى وضوح العبارة، فهي تستعمل لغة تحتاج لعمل تأويلي يطوي مسافات البوح، ليتجلى المعنى رقراقا صافيا زُلالا، خصوصا وأنها تنطلق من منهج / رؤية تأملية عرفانية منفتحة على كل الخطابات العرفانية والمعرفية وأعطت قصائد / لوحات عبارة عن رحلات إشراقية وأسرار

روحانيـة مليئة بـالرموز والمجـازات والإيحـاءات والاسـتعارات والإشـارات والـدلالات، فكـان شـعرا موشحا بنور الحرف، ومعمدا بعطر النقطة، ومدثرا بجلال المعنى، ولا يعنـي هذا أبدا أنـه شـعر غامض أو غير مفهوم، وأعتقد أنـه ينطبق عليها مـا قالته هـي نفسـها ذات تحليل نقدي عن شعر سعد الشلاه، فشعرها " يدفع الحرف المبدع إلـى ابتكـار معاني جديدة وخلاقة للشعر، تحمل المبدع والقارئ معا إلـى وطن الألفة والمحبة والسلام، حيث الخطاب اللغوي يعد حدثا كونيا يتحقق في أزمنة و أماكن مختلفة " (11)

أسماء غريب، شاعرة مبدعة تحمل هَمّ الحرف الحق على عاتقها وبين جوانحها تُكابده وتُعالجه حتى تسبر غوره و تدرك جوهره، خيميائية عارفة بأسرار الحفر على الحرف والحبر، تقف في محراب القصيدة بكل خشوع وتبتل، وتستقبل وميض واردات القصيدة بكل تجل واختمار ونضج، عبر قلبها الصافي الحي الشفاف، ووعيها الجمالي السامق، وتذوقها الفني الشاهق، ولهذا فهي تعتبر القصيدة "سدرة المنتهى" (12) التي لا تخذل صاحبتها، وبالتالي "فالكتابة صلاة " (13) تستوجب طهارة القلب ونقاوة الشعور والمشاعر، لذلك يمكننا القول ومنذ البداية أن تجربتها الشعرية تتميز بعمق روحي شفاف، وتحاول تقديم رؤى نورانية كثيفة و متسامية تعرج بالقارئ من عالم الطين والتراب إلى عالم النور والشفافية، والسفر به نحو المطلق واللامتناهي في ملكوت الله الواسع، حيث الفيوضات الرحمانية والمواهب الإلهية في عوالم الأنوار والأسرار، ولهذا يمكن اعتبار تجربتها الشعرية العرفانية "مغامرة على مستوى الوجدان والإلهام، إنها تجربة تدعو إلى الانبثاق الدائم من الداخل في الداخل، رؤيا جديدة للكون وحلم دائم للوجود، ولذلك فهي تستلزم كتابة تقوم على إيمائية اللغة وشاعرية الفكر، كتابة خاصة مطرزة بالرموز، ومشجرة ومنقشة بألطف الإشارات التي تحمل أقصى الدلالات للمعاني البعيدة في عالم الرؤيا، إنها كتابة انتظار ولقاء ووصول، إنها ذوبان للجزء بالكل،

وانصهار الذات في العشق الإلهي، والفناء الكلي في المثل والقيم العليا" (14)، وتجربتها الشعرية باعتبارها "شاعرة عرفانية روحانية صوفية غارقة في بهجة سمو الروح " (15) هي تجربة عالمة، فمن جهة هي منفتحة على تجارب شعرية صوفية رائدة (مشرقية ومغربية / قديمة ومعاصرة) تنهل من عوالم ابن عربي والنفري وجلال الدين الرومي ومحمد بنيس ... ومسنودة بتجربة روحية / عرفانية ولغوية وتخييلية تنتقل عبرها من عوالم المحسوسات إلى عوالم المثل العليا حيث الجمال والكمال والرقي، فتجربتها الصوفية ليست فقط تجربة روحية، بل هي أيضا تجربة في الكتابة ومنفتحة على عوالمها اللامتناهية، ومن جهة ثانية فهي تجربة غنية وعميقة ومتكئة على خلفية / خبرة أكاديمية علمية صارمة جسدتها في أطروحتها للدكتوراه حول تجربة الشاعر المغربي محمد بنيس، وهي كلها عوامل ساعدت على إنضاج وتطوير وإغناء متنها الشعري، فكانت بحق من شعراء الله المخلصين، الباحثين عن جمال الحرف والنقطة، الواقفين وَلَهَا ووجدا في محراب المعنى، المبشرين عباد الله بسلام الله ورحمته، على اعتبار أن الشعر كما تقول هو " سيد السلام، لأنه يأخذ الإنسان إلى عوالمه الداخلية، ويحفر فيها بإزميل العارف بالله، ولا يتردد أبدا في الدخول إلى المناطق المظلمة والجحيم المستعرة ليدل الإنسان على عيوبه ويستأصلها معه بقلب محب، لأنه يعرف أنه هكذا فقط يمكن الدخول إلى فردوس السلام "(16)، وبالتالي فبوحها الشعري يُفهم بلغة القلب ووصفة الحب، ويُدْخَل لمعانيه الكامنة بعين الفؤاد للوصول للمراد، لأنها تزاوج بين سمو العبارة وسر الإشارة، تجيد الحفر في صخر الحرف، تبحث عن المعنى والدلالة، عبر أسفار ورحلات في رحم النفس وعالم الكون، فَدَلّ قلمها على يقظة قلبها، وإشراقة لغتها، بل إن أسماء غريب نفسها، بسمو تواضعها، ورفعة نفسها هي " قصيدة مفتوحة على أجنحة الكون، مجنحة نحو أقاصي حنين السماء "(17)

تتوحد أسماء غريب وجدانيا مع نصوصها الإبداعية، فتكون هي الكاتبة والقارئة، هي المنتجة للمعنى وهي المقصودة بجلال الحرف وجمال الكلام، هي الحرف والورق، الساكبة والمسكوب (18) " إنني أنا الشاهدة والمشهود، وأنا المشاهِد والمشهد، وأنا النون والقلم، وأنا السلم والسلام الذي به أحيا وأعيش " (19)، هذا التوحد بين الذات الشاعرة وعملها الإبداعي " يستدعي حالة من الصمت العميق من أجل الإنصات إلى ألم الكينونة الوجودية وإيصال صوته إلى أبعد الحدود "(20)، ومن هنا فإن وظيفة الشعر تشبه إلى حد ما وظيفة الذِكر الذي يتطلب طهارة وخشوعا وتأملا وتركيزا ليكون له أثر على صاحبه ويأتي بنتيجته المرجوة منه، حيث ينتقل الذاكر /الشاعر صاحب الحرف والنقطة من حال الغفلة إلى حال الحضور واليقظة، ومن عالم الشهادة إلى عالم الشهود، على اعتبار أن وحدها " القصيدة تسمح للوجود أن يخترق ذات الشاعر، وحدها تقوده إلى الملكوت "(21) ومن هنا فإن مائدة الشعر باعتباره إبداع وتأمل واع

" لا يجلس إليها إلا الشعراء الفقراء

أهل التسليم والتجريد من كل شيء

أولئك الذين لا يأكلون مثلك ومثلي

سوى حنطة الحرف

ولا يشربون سوى من خمر النقطة

ولا يكتبون سوى عن كنز خفي

ولا أحد يعرف كيف هو، ولا أين هو " (22)

ولأن الشاعرة من أهل التسليم والتجريد، أهل النقطة والحرف، جاءت قصائدها مؤمنة تتغيى التحليق في أعالي النظارة والحكمة والمناجاة، وجاءت حروفها نورانية تروم العروج إلى محراب

الحب الإلهي، تنضح وجدا وعشقا، مفعمة بأرق السؤال حينا وألق الجواب أحيانا، تلامس الروح في شفافيتها، وتنتشل الفؤاد من وهدته لتسمو به نحو الآفاق البعيدة، تناجي المشاعر عبر التأملات، وتخاطب الأحاسيس عبر المناجاة، وتتماهى مع منظومة الحياة بتفاصيلها ومراد الله فيها، كما أنها تؤسس لحوارات / مناجاة مع المطلق تذهب لأبعد مدى : تبكي، تشكي، تناجي، تدعو، تشكر، تذكر ... وتستحضر ملائكة القدس المقربين بتجلياتهم ونورانيتهم، وتفتح فضاءات المكان على آفاق رحبة وواسعة ولا متناهية، تتبع الروح في خفقانها وتطلعاتها، تتجاوز السماء إلى مقامات البهاء والأنس والسناء حيث القرب والرضا والهناء ، وفي تجل صوفي واضح، وتجرد عرفاني مختمر طافح، تعترف بأن حروفها وأشعارها هي هبة لدنية رحمانية من فيض "كن فيكون " : " أجل، فمن (كن فيكون) ولدت شجرتي الشعرية، وكل ما فيها من قصائد ومناجيات ومشاهدات ومقامات هو مما أثمرته من فاكهة الحرف " (23)، ولهذا كانت أشعارها حافلة بالبهاء " وكأن حرفها مندلق من خاصرة نيزك، مشبع بإشراقة وهج الروح، حرف يستنهض أحلاما غافية بين وهاد النسيان، منتشلا إياها نحو ظلال القصيدة البكر، تكتب نصها من وحي تراكمات مشارب ثقافية وفكرية أدبية حياتية غزيرة، كأنها في رحلة استكشاف حلمية لاستشراف أنقى ما في تجاعيد الذاكرة، وتجسيدها في رحاب خيال فسيح متعانق مع تهاطلات إشراقة الحرف على مرامي أسرار الليل، حرفها من طين المحبة، من مذاق قبلة الشمس لنسيم الصباح، من وهج عشق مُعرش في أدغال البساتين " (24)، وجاءت قصائدها بما تحمله من تخييلات وصور أدبية وشعرية مستوحاة من معاناة العاشقين، وسهاد الوالهين، وتأملات العارفين، ومناجاة الذاكرين، محلقة في أعالي الملكوت الإلهي، مُضمّخة بحب الحرف والنقطة، فتنساب المعاني في الكلمات انسياب الزيت في الزيتون، وانسياب الروح في الجسد، متماهية مع المطلق، ممزوجة مع اللامتناهي، تحمل

هم تجديد توهج الحرف العرفاني وإعادة صياغة قدسيته وبهائه وإزالة ما تراكم من تجعدات وشبهات أفقدته لمعانه وهيبته ليواكب هموم النفس وتطلعات الروح، تقول موضحة / متولهة :

" سأثور عليك كي أعيد ترتيب حروف الأبجدية

وأعيد إلى العشاق نقطة ربيعهم المفقود

ونقطة شمسهم الدامية وسط القلوب

وأضع نقطة نظام جديدة وسط مجلد التاريخ

المطرز بالترهات والأكاذيب ." (25)

إن شعر أسماء غريب ذو النزوع الوئامي مع الكون، تنبعث منه الرغبة في حياة الطفولة الأولى المليئة بالفرح الجميل والأحلام الوردية الشفافة، المتطهرة من أدران الحياة، فجاء شبيها بالاعتكاف داخل تجاويف الروح الباحثة عن السلام والطمأنينة، أو بمناجاة صامتة ينبع منها الحنين والأنين،فالشعر " ترتيلة شوق إلى قبة السماء " (26)، لذلك فهي تحاول إرجاع هذا الشعر إلى مصدره الأولي / الأصلي، أي " إعادة الكلمة إلى سرير الأبدية، السرير الذي ولدت فوقه بكرا لا يحدها حد ولا يقيدها قيد، وعارية إلا من وهج الحرف وقدسية البيان "(27)، لذلك فلا عجب أن تعتبر أسماء غريب أن " الشعراء إخوة الأنبياء من حيث علاقتهم الروحية الوثيقة بالسر " (28)، وما دام الأمر كذلك فالشاعر المبدع مطالب بامتلاك ناصية الحرف سبكا وحبكا، تخييلا وتنزيلا، كي لا تثور عليه قصائده المهووسة، لهذا فهي توجه نصائحها لمن يريد الدخول إلى عالم الكتابة الشعرية قائلة :

" والشعر يا صاحبي ماء زلال

إذا لم تهتد إلى نبعه الأصيل

فلا تقترب منه

وإلا أصابتك لعنته " (29)

أما الصورة الشعرية والتخييل فقد سارت على نفس منحى اللغة، أي الوفاء للرمز والانزياحات، فهي تَمْتَح من تجانس العرفان مع التاريخ والفلسفة والاجتماع، وتجانس الواقع بالمتخيل، لذا جاء شعرها متدفقا بالتجليات العرفانية الشاهقة والمتوهجة، ومعلوم أن بلاغة الصورة الشعرية وإبداع التخييلات الأدبية وجماليتها وخلق الحياة في النص، هو ما يميز الشاعر عن باقي كتاب الكلمات، فالصورة الشعرية الخلاقة والمنفتحة على مسارات التخييل تأتي لتعبر عن فلسفة الجمال، وإشراقات الروح، وتطلعات الإنسان ... فالأفكار كالطمي الخصيب تضم في ثناياها عشرات المعاني والدلالات المتدفقة من أعالي شلالات البوح، والخيال هو أوسع الحضرات حسب تعبير ابن عربي (30)، بل إنه يمثل أسمى الحضرات التي ما فوقها حضرة ولا تحتها حضرة (31)،وهو الذي يخرج اللغة من حالتها العادية إلى الحالة الإبداعية الفلسفية والرمزية، ويخرج النص من بساطته وفقره إلى حالة التركيب والغنى،ويخرج به من ضيق الرؤية إلى شساعة الرؤيا، ويعطي للشعرية معناها ومدلولها .

الصورة الشعرية الخلاقة ليست بالضرورة خيالا جامحا، أو حلما طافحا، وإن كان ذلك مطلوب ومرغوب، ولكنها أيضا تعبير عن قيم ومضامين وأهداف لتتوحد هذه الصورة مع دلالة القيم المطلوبة، أو بعبارة أخرى لتكون الصورة الشعرية حاضنة للقيم وموازية لها، ولهذا اعتبرت أسماء غريب أن " الخيال لا يصفو حقا وحقيقة إلا في حضرة الله، صاحب الخيال الخصب الساحر الباذخ صورة وواقعا،غير هذا لا خير في خيال لا تنسقه ولا تُمَوْسِقُه يد الله في عقول وقلوب أهل الحرف "(32)، ولذلك فهي تستقي مادتها الإبداعية وصورها الأدبية

الخلاقة من عالم روحها وسفرها في ملكوت البهجة والفرح، ومن لقاءاتها مع إخوتها في النور، ومن سعيها نحو البشر والطير والشجر والحجر، ومن سياحتها في حليب المجرات، ومنها هي نفسها الشاعرة والشعر، الكاتبة والمكتوبة، القارئة والمقروء (33)، ولكي تنضج هذه الصورة الشعرية وتختمر، فإن ذلك يتطلب من الشاعرة جهدا مكلفا من العزلة والصوم والعزوف عن الكثير من الأشياء (34) ، والتخييل يحيل دوما على خصوبة الفكر وتجدده، بل إن الخيال في المفهوم العرفاني هو معيار المعرفة (35)، خصوصا عندما يأتي من " راهبة متبتلة في صومعة الكلام، كرست حروفها للمعنى والجمال " (36) ، فمن بوحها المرهف المعبق بظلال الكلمات وخمائل المعاني، تنسج صورا إبداعية ورؤى خلاقة تلخص نظرتها للنفس والإنسان والحياة وفق منظومة إبداعية وتجليات فنية وتوهجات عرفانية تتدفق فيها ومنها معاني السلام والمحبة والفرح والإخاء، فتنسج " حرفها من طين السلام وهي في أوج صفائها الروحي، يرقص قلبها ألقا وضياء كلما تبرعم حرفها فوق خميلة الليل في صباح باكر، تناجي الكائنات بلغة أريج الزهور، وخيوط الشمس وهدهدات المطر عبر اخضرار القلب، وتجسد حرفا من لون الحلم الغافي فوق أهازيج الرؤى الملئى ببخور المحبة المنبعثة من جفون الأعالي" (37)، ويمتزج في شعرها التخييل المبدع بتذكرات الذاكرة الشخصية النشيطة، فيحدث التكامل والانسجام في تصوير الوقائع، ويحلق القارئ في عوالم الإبداع المختلفة والمتنوعة، عوالم الشهادة والشهود، قضايا الروح والنفس، الكون والملكوت ... فصورتها الشعرية، باعتبارها شاعرة عارفة ببحر النقطة وغارقة في خمرة الحرف، هي تلخيص لتعبيراتها عن المشاهدات، وتصويرها للذة المناجاة، وتأملها لعظمة التجليات، وتحليقاتها حول الفيوضات، ونهلها من معين الاشراقات، فكانت تخييلات وصور شعرية موصولة بالحضرة الإلهية القدسية، مملوءة بالمشاهدات القُرْبِيّة والحِكم القلْبية العرفانية، وهو تكامل إبداعي أشبه بعمليات كيميائية قوامها

الانتقال من عالم إلى عالم، ومن لون لآخر، مما جعل نصوصها متدفقة بالحياة والحيوية والبهجة .

هوامش

1 . الرمز الصوفي في الشعر المغاربي المعاصر صفحة 8

2. حيدر علي سلامة : نحو مادية شعرية في قصيدة (ليالي زفافنا السبع) للدكتورة أسماء غريب : في طقوس الجسد المقدس/ وشعرية النص المتخيل، ضمن ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 319

3 . أسامة غالي : تجليات الفكر الصوفي في ديوان 99 قصيدة عنك لأسماء غريب، ضمن ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 334

4 . رحلة المئة سؤال وجواب ج 1صفحة 23

5. النفري : المواقف والمخاطبات صفحة 90

6. من قصيدة (برق منتصف الليل)، ديوان مشكاة أخناتون صفحة 188،

7. نفسه صفحة 51

8. خالد بلقاسم : الصوفية والفراغ صفحة 6، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2012،الطبعة الأولى

9. من قصيدة (أنا الرؤى والأحلام) ديوان مشكاة أخناتون صفحة 212

10 . صبري يوسف مقدمة كتاب رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 20

11. كواكب على درب التبانة صفحة 313

12. رحلة المئة سؤال ج 1 صفحة 42

13. نفسه صفحة 111

14. الرمز الصوفي في الشعر المغاربي المعاصر صفحة 70

15 . ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 366

16 . رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 168

17 . يوسف صبري مقدمة رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 21

18 . رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 216

19 . نفسه صفحة 217

20 . نفسه صفحة 201

21. د أسماء غريب : سيدة الصمت والرضا، ضمن ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 370

22 . ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 371

23. ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 12/13

24. يوسف صبري مقدمة ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 21

25. من قصيدة السيف الذهبي، ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 57

26. ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 12/13

27 . قراءات من ذاكرة الحرف صفحة 266

28. نفسه صفحة 244

29. من قصيدة السمكة والصياد، ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 107/108

30. انظر أدونيس الصوفية والسوريالية صفحة 78

31. أحمد بلحاج آية وارهام : من جماليات التجلي الصوفي في الشعر المغربي المعاصر / مجلة الثقافة المغربية صفحة 299 العدد 39 بتاريخ ماي 2019

32. رحلة المئة سؤال وجواب ج 1 صفحة 49

33. انظر رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 183/184

34. نفسه صفحة 158

35. أدونيس مرجع سابق صفحة 78

36. الأب يوسف جزراوي، تقديم ديوان مشكاة أخناتون صفحة 7

37. صبري يوسف رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 234

في رحاب الفن التشكيلي :

بين تجليات الألوان وظلال المعاني

تختزل الألوان والخطوط والأشكال عوالم مذهلة من الحقائق الوجودية والجمالية، تُقرأ بأكثر من مفتاح (1) وبأكثر من عين، وبأكثر من حرف، فهناك أعمال فنية تقرأ بعين العشق والإعجاب، وأخرى تقرأ بعين النقد والتمحيص من أجل استخراج " الممكنات اللاواعية" داخل الأعمال الفنية واستكشاف " النية المخبأة" فيها، وثالثة ينظر إليها بعين المتعة ... وتبقى " المحبة هي السر " (2)، والجمال يقود حتما إلى ذي الجلال /الله عز وجل، ولأمر ما كان الله جميلا يحب الجمال، " فالحمد لله الذي جعل حرما تحج إليه قلوب الأدباء، والحمد لله الذي تجلى باسمه الجميل فسحر الألباب وقادها إلى بحر محبته فلم تخف الألم ولا الموت ولكن حرقة البين والفَوت، فنادت ما لنا والجمال ؟ فالجمال يورث العشق ..." (3)، وأسماء غريب دخلت الاختيار الصعب من خلال مزاوجتها بين ممارسة الفن التشكيلي رسما، ورصد انبعاثات عملية الإبداع نقدا، فكانت فنانة مبدعة تبحث في تدفقات اللون ومعانيه، وتراقب لحظات ولادة المعاني، فتمسك بخيوط الوهج الفني / الإبداعي وتحوله إما إلى ألوان ولوحات (رسما) أو إلى كلمات ودلالات (نقدا)، فهي الناقدة التشكيلية التي تُخرج الألوان والخطوط من عالم الرموز والإشارات والصور إلى عوالم موازية، عوالم التحليل والتأويل، والتفسير والتقييم، فإذا

كان النقد عموما هو بناء خطاب موازي لخطاب أصلي، فإن النقد التشكيلي / الفني هو بناء عالم جمالي داخل عالم آخر من البهاء والروعة، من خلال التأمل والغوص عميقا في رحاب الألوان والخطوط والأشكال والأرقام الأوشام ...

أسماء غريب فنانة وناقدة تشكيلية لا تنحصر علاقتها بالألوان في اللوحات فقط، بل يتعدى الأمر ذلك إلى شعرها والمتأمل لدواوين السيدة أسماء غريب وعناوين قصائدها يحس بالزخرفة وحضور الألوان والأصباغ تنبعث من بين ثنايا قصائدها، مما يجعلنا نؤكد أنها قصائد ملونة، ولعل إطلالة سريعة على عناوين بعض القصائد يبين صدق ما نقول،(4) فتحس كأنك أمام لوحات تشكيلية تستبطن الكثير من التخييل والإبداع والصور الشعرية العميقة جدا، وكأن الألوان مقامات روحية أو مدخلات لعوالم أخرى أكثر رحابة وشمولا، وكأنها " تعمل على تلوين الكتابة الشعرية بما هو مغاير لنمط التشكيل الحقيقي الذي ينتمي إلى الحياة " (5)،وبالفعل فاللون في كثير من الأحيان أبلغ من الكلمات.

ولجت أسماء غريب عالم الفن التشكيلي من باب الفطرة والعفوية،وليس من باب المدارس الفنية، فهي إذن ذاتية التعلم وتنتمي إلى المدرسة الفطرية في الفن التشكيلي والتي تقوم على أساس البساطة في الأداء والاسترسال في الخيال والرغبة في خلق شعور بالجمال البدائي والتلقائية دون تعقيد أو غموض، عبر صقل الخبرة والموهبة الذاتية، وغني عن الذكر أن بعض الباحثين اعتبروا الفن الفطري المغربي نبع من التصوف الشعبي المغربي والحرف التقليدية (6)، وهو فن خام يعانق طقوس الحياة اليومية البسيطة والهامشية، ورغم ولوجها عالم الجامعة وتكوينها الأكاديمي الصارم، فهي لا تخضع في أعمالها الفنية لمنهج أكاديمي معين، وما يهمها عندما تحمل ريشتها وتدخل مرسمها / محرابها الإبداعي هو أن ترسم ما

تمليه عليها كينونتها، وما تراه متبرعما فوق تراب قلبها المدهام، وسماء روحها الخضراء من أسرار، تستلهم من الطبيعة أفكارها وتستوحي من كينونتها الداخلية إبداعها (7)، وتقول موضحة منهجها الفني في الرسم التشكيلي :" الطبيعة أمي، وأكواني الداخلية أكاديميتي، ومرشدي الروحي وأستاذي ومعلمي الأول هو قلبي المبحر بنور المحبة " (8)، وكما في الشعر وبوحه الجميل، ففي أعمالها الفنية التشكيلة تخلق تماهيا وانسجاما و"حلولا "عبر روحانية فنية مطلقة ومتطابقة، تقول عن نفسها :" أنا اللوحة والفنان، وأنا المرسوم والمرسوم له، وأنا اللون والخميرة، وأنا الثوب والريشة، وأنا المتلقي والمبدع ." (9)، لذا ففي لوحاتها تخاطب نفسها وتحاور روحها قبل المتلقي مشاهدا أو ناقدا، فتصبح ذات هوية جمالية منفتحة على الكون، وهي بلا شك متاثرة ببعض الأسماء الفنية التشكيلية الفطرية القريبة من مدينة آسفي كالفنانة العالمية فاطمة الكَبوري (1924/2014) والفنانة الشعيبية طلال (1929/2002)، وتعترف أسماء غريب أنها في طفولتها وهي لم تتجاوز سنتها العاشرة (ثمانينيات القرن الماضي) كانت تمر على ورشة / دكان الفنانة الفطرية العالمية فاطمة الكَبوري، وكانت تتأثر بأعمالها الفنية فتأسرها " تلك اللوحات الزاهية الألوان، والطفولية التعبير، والحلولية الفكرة، والوحشية المعنى، والممتلئة بالخطوط والحركات والدوائر والكائنات الصغيرة الكبيرة والعيون الواسعة "(10)، وكما في باقي أعمالها الإبداعية فهي تبحث عن لب المعنى وجوهر الجمال من خلال تداعيات الألوان والأصباغ والخطوط والأشكال، تطارد هاجس السؤال وهاجس المعنى أملا في أن تشعل فتيل اللماذا (11) .

كما العرفان وتجلياته فإن للتشكيل انبعاث وصدى من عالم الطفولة البعيدة، حيث تظهر العطاءات المختمرة وتتفتق الموهبة الدفينة من القلب المفطور على الصفاء وبراءة الفطرة، تقول أسماء غريب : " ذاكرة قلبي تقول لي إني كنت غالبا ما أبحث في طفولتي عن النقطة

قبل الحرف، وكان لابد لغلاف دفتري المدرسي أن يكون مزينا بالنقاط والنجوم والكواكب " (12)، وقد لعبت تجربتها العرفانية / الروحية دورا مهمّا في تطوير مفهومها / نظرتها للفن والجمال الذي من خلاله تكتشف عمق الحياة وحقيقتها من خلال ما يسميه الصوفية برحلة " التلوين والتمكين "، فالتلوين صفة أرباب الأحوال، فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، ويخرج من مرحل ويحصل في مربع، فإذا وصل تمكن " (13)، وعمل الفنان التشكيلي العارف "هو (وارد) يأتي إلى النفس فتتحرك به اليد " (14)، وعندما يخضع الفنان العارف هذا (الوارد) للتأمل " سرعان ما تتم عملية الانسلاخ، وتشخص الذات المنظور إليها، لكي تلقي فيها الذات الناظرة وعيونها، تتخير من عناصرها، من المرئيات والانطباعات والمعلومات والخواطر والبوادر واللوامع " (15)، ولذلك حاول منجزها الفني الفطري الدخول لعالم الصباغة العالمة، وجاءت لوحاتها نصوصا لونية مفتوحة على عوالم من الخلق والإبداع، وكذا من التأويل والقراءة، فهي إشراقات لونية مشرقة مشرعة على فضاءات لا متناهية من الحبور والسرور، فـ " ألوانها بما فيها الأخضر والأزرق والشموس الذهبية، إضافة إلى مدلولها التأريخي، ترسم لنا معاني المحبة التي مهما سُرِقت وحاول الأعداء إطفاءها تظل جذوتها منيرة ساطعة "(16)، لذلك فهي تعتبر الرسم والفن التشكيلي سفر الأسفار الكبرى، بل هو " كتابة اللون، جراحة بمشرط المحبة، غوص في الأكوان الداخلية، عيادة للتواصل مع كينونة الإنسان والحيوان والنجوم والأجرام "(17).

أسماء غريب ليست فنانة تشكيلية فحسب، بل هي ناقدة فنية أيضا، ودراساتها متعددة ومنشورة ، ونقدها الفني هو عملية إبداعية عميقة تَسْتَكْنِه ثنايا / خفايا اللوحة وتفتح مغاليقها اللونية والجمالية، وتستخرج خباياها الرمزية والإشارية، وتنير ما أظلم من عتمات الألوان وما خفي من عوالم ومعالم،إذ تزاوج بين عقل الناقدة وروح العارفة، وفق رؤية نقدية

فنية عرفانية مبنية على التأمل والذوق والانجذاب،" تأمل هو في الواقع صلاة في حضرة اللون والشكل، صلاة آيتها الصمت وتراتيلها اللالغة، وذلك لما يحدث بداخله من فيض لا ينبثق عن البلاغة التقليدية بين مستوى التعبير ومستوى المضمون، وإنما عن سيرورة تسمح بالعبور من إحساس له صوت ريّان إلى إدراك حسي آخر صامت هو التأويل المتنقل من حالة اللغة إلى حالة اللالغة "(18)، ولهذا فهي تستبعد في أعمالها النقدية الفنية القراءة والتحليل وفق المنهج الإسقاطي " والتي غالبا ما تكون قراءة لا شعورية، يتم فيها استبدال الظاهرة المدروسة بظواهر أخرى هي أشكال البنية النظرية التي لا توجد إلا في ذهن القارئ باحثا كان أو مجرد متلق عادي " (19)، وهي عندما تستعمل " المنهج العرفاني " في النقد التشكيلي والمعتمد على التأويل الرمزي للأعمال الفنية فهي تنطلق من مبدأ أن جمال اللوحة هو جزء من الجمال الكوني وتقدم قراءة مبدعة " بعقل مُقَمّط بالنور، ومعمد بالفرح والرضا " (20) و تنجز عملها " بصبر عرفاني جميل، ومحبة صوفية عميقة "(21)، هذه القراءة / النقد تعتمد وتستدعي مناهج متعددة كالتحليل النفسي والجانب العرفاني مع اعتماد تقنية التفكيك السيميائية العرفانية (22)، وقد نحتت / ابتكرت مفهوما نقديا جديدا أطلقت عليه " الواقعية العرفانية "، وهو مفهوم نقدي قادر على استيعاب التجربة الإبداعية العربية وتأطيرها (23) " بعيدا عن إسقاطات مدارس فكرية أكل الدهر عليها وشرب، ولا تتناسب أبدا مع واقعنا العربي وأوجاعنا التي لا يشبهنا فيها أحد " (24)

إن ما يَشد ويُبهر في الأعمال الفنية التشكيلية هي الألوان وتناسقها، وضربات الفرشاة وإحكامها، والتفاصيل الدقيقة الكامنة في ثناياها، فتتفحصها بعين الناقدة الخبيرة، وروح الفنانة البصيرة، تتبعها ضربة ضربة، ولونا لونا، حتى تصل إلى نسغ معناها وخلاصة مبناها، حيث الأسرار المكنونة، والأسفار المدثرة، والدهشة الكامنة، فتعيد " اكتشاف كل ما هو جديد

وجدير بالقراءة بعين الإعجاب والانبهار والمحبة، بهدف تحقيق الصعود إلى عالم السمو والانطلاقة والحرية ." (25)، وكأنها تنشد مع عمر ابن الفارض (1181م / 1234م):

فالعين تهوى صورة الحسن التي روحي بها تصبو إلى معنى خفي

وهي عندما تقدم قراءة / نقدا للعمل الفني فذلك معناه نقل هذا العمل الإبداعي من شاطئ بحر النظرة / القراءة العادية والسطحية إلى أعماق محيط المساءلة الواعية، والغوص به وفيه بحثا عن درره المكنونة وجواهره المخزونة، وإثرائه بقراءات / تأويلات و فيوضات معرفية عبر التأمل العميق والسبر الدقيق، كل ذلك وهي تموسق إبداعيا توهجات الخيال مع انبعاثات الذكريات، وصفاء الروح مع تجليات ألق المحبة، توظف طاقتها الروحية العجيبة في استكناه ما في أعمال النص الذي تحلله، تسبر ما تدرسه بعمق، كأنها في علاقة وطيدة مع فضاء المبدع الذي تدرسه .(26)

تنطلق أسماء غريب في عملها النقدي من مبدأ الإخلاص في النية، حيث تمنح للعمل الإبداعي المدروس الوقت الذي يستحقه، وقد يقتضي الأمر شهورا أو سنوات، ويقتضي عزلة عرفانية (27) على اعتبار أن " وعي الجمال يمر بمرحلتين أولاهما الشعور به، وثانيهما استيعابه والاستمتاع به، وهما مرحلتان متداخلتان ولا يوجد بينهما فاصل زمني " (28)،وذلك يقتضي قراءة أعمال المبدع في شموليتها (29)، وما يتطلبه ذلك من جهد في العمل والدراسة وتعمق في البحث، فهي تقدم قراءتها بعين الباحثة عن البهاء والجمال لا بلحظ العين المجردة، لترى الأشياء على صفائها لأنها غير محجوبة عن بهاء اللون وجمال الشكل وصفاء الخطوط، فهي كالخيميائي المتقن لحرفته، حرفة إضاءة الألوان وتحويلها إلى معاني، بقلب محب صاف وروح عاشقة متجردة من كل القيود و" لا خير في قراءة أو نقد لا يكونان بعين

المحبة " (30)، ولذا فهي عندما تتناول عملا إبداعيا بالنقد والتحليل والدراسة فإنها تتناوله شكلا ولونا، وتحاول إيجاد مفاتيح جديدة للقراءة والتأمل، وفي كثير من الأحيان هي لا تختار اللوحات الفنية التي تجري عليها دراساتها، بل اللوحات هي من تختارها، وكأن هذه اللوحات تملي عليها ذائقتها الجمالية، فتتحول اللوحة إلى مركز جذب إشاري تشد الناقدة بوهج النور ونار روح القدس الكامنة فيها، وهذه هي بداية العلاقة الروحية والوجدانية بين الناقدة وموضوعها، ومن خلالها وأثناءها " تزهر شجرة المحبة العظيمة بين من يقرا وبين من يحلل ويقدم عمل مبدع ما إلى صاحبه ومالكه الجديد: القارئ في كل مكان من الأرض " (31)

عندما تختار اللوحاتُ الناقدةَ يستدعي الأمر المرابطة والسهر شهورا أو سنين لتتكاثف واردات التقديس والرضا، وتنكشف محاسن الجمال ومعالم الكمال، وتستكمل التقاط الإشارات الإبداعية والجمالية من العمل الفني، فالناقدة ذات الفكر العرفاني اللاهب، والمنهج النوراني الثاقب، ترى وجه الحق المعبر عنه بالجمال في كل لون وشكل ورقم، في النور والظلمة، في البسيط والمركب، في اللطيف والكثيف، في الحجر والشجر ... فللجمال تجليات حسب المقامات والأحوال، لذلك تستحق اللوحات المرابطة والسهر لتنصهر في الموضوع، وليحصل الالتحام بالموضوع والتقرب منه والدخول لأعماقه لتتحقق المشاهدة والكشف والتجلي " فالوجود لا يعرف إلا بالشهود "، وأيضا لتجود الإشارة بمعانيها،وتفصح الألوان عن دلالتها، وتكشف الأرقام عن مضمونها،والخطوط عن أسرارها، وكلما قَلّت المسافة أو انعدمت بين الناقدة واللوحات كانت المعرفة غنية وباذخة، ولذلك فأسماء غريب تفضل التخلي عن موروثها العلمي الجاهز ومعرفتها المسبقة بالأعمال الفنية وأصحابها وتواريخهم، لأن تلك " المعرفة " حجابا خطيرا قد يغطي بل يُزَوّر الحقائق لغة وشكلا ولونا ومضمونا (32)، وهذا التخلص من المعرفة المسبقة يساعد على قراءة / رؤية العمل الفني في حالته الصافية الأصلية (33)،

ولهذا أو لغيره قال النفري :" إن العلم المستقر هو الجهل المستقر " (34)، فتصبح هي الشاهِدة والمشاهَدة، الكاتبة والمكتوبة، القارئة و المقروءة، هي اللوحة وهي الناقدة، فنكون أمام ثنائية " الأنا والوجود " وكأننا في " مجمع البحرين " : بحر الذات الدارسة وبحر الأعمال المدروسة، وهذا الانصهار / القراءة لا تتم على الوجه المطلوب وتحقق المراد والمرغوب إلا إذا تخلص الناقد العارف من كل الركام الذي يحمله وعاد إلى طفولته العدنية (35)، وهذا ما يجعلنا نغامر ونقول إن الناقدة أسماء غريب تستعمل نزعة حدسية / كشفية / ذوقية في تعاملها / نقدها للأعمال الفنية التشكيلية، وبالتالي تعمد إلى استخراج الدلالات والمعاني الكامنة وتحويلها إلى مشهديات لغوية حميمية وعرفانية، عبر التأويل الذي هو العملية الجوهرية في عملية النقد الفني، ففي كل عمل فني هناك عمق ينبغي الوصول إليه على اعتبار أن اللوحة لا تبوح بكل أسرارها دفعة واحدة ومن خلال رؤية أولية وخاطفة، فهي لا تقدم نفسها جاهزة للناقدة، وخلال هذه العملية التأويلية تصبح اللوحة رؤيا والناقدة معبرة .

إن رصد التجلي الجمالي للألوان والأشكال والرموز وتفكيك معانيها وتأويل دلالاتها السميائية / الإشارية يتطلب طول النفس والصبر والانتباه، خصوصا عندما يكون (الناقد العارف) أمام لوحات (عارفة بالله) تعج بالحضور الملائكي وتضج بإشاراتهم النورانية التي قد تكون عبر لون أو شكل معين تقع عليه العين، فيحدث الوصل والوصال والشغف (36)، ويبدأ القلم في الكتابة والبوح، فدهشة الأرواح وصفاؤها في حضرة الإبداع والجمال، وشهقة الأذواق وآهاتها في عالم الأشكال والألوان، والقراءة والنقد بعين المحبة هي التي تجعل الناقد العارف يرى في الشمس الساطعة رمزا للملَك ميكال عليه السلام : رمز الخصب والعطاء والكثرة، وفي السنابل الملآى رمزا للحضور الملائكي (37)، وفي الصُور والناي والنفخ رمزا للملك إسرافيل عليه السلام (38)، ولا عجب في ذلك فالجمال يزيد الحق وضوحا (39)، و

الإبداع الحقّ : هو إلهام مصدره قوى نورانية هي رسل الله إلى الإنسان : الملائكة عينهم، وإن كان معظم الناس لا ينتبهون لهذا الأمر "(40)، ومن هنا فإن الناقد العارف الحصيف مطالب بتوسيع ملكة الخيال، لأن في (حضرة) الخيال " تظهر الروحانيات من الملائكة في الصوَر، وفيها تتنزل المعاني في الصور والقوالب الحسية " (41) ناهيك عن كون " الخيال أقرب في الدلالة على الحق " (42)، هو مطالب أيضا باستخدام القراءة بعين الرحمة والمحبة، لأن " بالمحبة يتحرك السادة الملائكة الكرام، وهي فيهم الطاقة والنار الذي لا تخبو جذوته أبدا "(43)، وهذا ما يجعلنا نغامر مرة أخرى ونقول إن أسماء غريب تستعمل نقدا " ملائكيا " مفتوحا على عوالم النور والمحبة والسلام من حيث المضمون، وحافل بالغزارة والكثرة في الإنتاج من حيث الشكل / الكم، ولذلك نجدها تستخدم تيمة الملائكة في الكثير من أعمالها النقدية ومن أمثلة ذلك :

. تمثلات السادة الملائكة الكروبيين في تجربة صبري يوسف الإبداعية من الأدب إلى الفن التشكيلي قراءة عرفانية .

. حملة العرش في الصحيفة السجادية،الدعاء الثالث نموذجا للبحث والدراسة

. الروح القدس أو اليد العاملة في أشعار أديب كمال الدين

. إشارات الألوان : قراءة في ديوان (الحرف والغراب) لأديب كمال الدين

. كتابها عن الملائكة بين القرآن والأدب ...

ويبدو ذلك منطقيا باعتبار أن الملائكة هم " سادة الإبداع في كل الحضارات وبين كل الأمم بغض النظر عن أي انتماء عقائدي ."(44)ـ وإذا كان هدف النقد الجمالي / التشكيلي هو إبراز

المعنى الكامن في الألوان والأشكال والإنصات جيدا لعوالمها الداخلية، فإن للألوان والخطوط والأشكال في عالم النقد العرفاني دلالات وإيحاءات متعددة ومختلفة عما هو مألوف، فالخضرة أنبل، والسواد أهول، والبياض أفضل، والحمرة أجمل (45)، ولكل لون تجلياته وإشراقاته وأسراره، فاللون الأسود مثلا ليس دائما رمزا للحزن، تقول أسماء غريب مناجية مولاها :" سوادك يا مولاي ليس له نظير، إنه نور تحجبني به عن الأغيار، وتمحو به كل حضور أنت لست فيه، إنه نور سلطانك وفخامتك، نور محبتك وحنانك ووادك "(46)، إنه " السواد الحنون " (47)، وهو رمز الهيبة والجلال (48)، كما أنه " أعلى درجات البياض، والبياض هو أخف وأبهت درجات السواد " (49)، واللون الأبيض يشكل " لحظة ولادة أو قيامة من الموت، بل انبجاس للنور وسط الظلام الدامس وكأنه حمامة نوح " (50)،وهكذا ... فالألوان قد يأخذ تفسيرها عند الناقد الإشاري منحى مخالف للتفسير السائد، والأمر نفسه بالنسبة للأشكال الهندسية داخل فضاء اللوحات الفنية، فدلالاتها السيميائية وتأويلها يختلف من ناقد لآخر، فإذا كان هناك مثلا من يعتبر الشكل الكروي " أفضل الأشكال ..ليس له أول ولا آخر " (51) فأسماء غريب تعتبر الدائرة رمزا للتيه والضياع باعتباره شكلا بلا بداية ولا نهاية (52)، وتعتبر الشكل المربع جامعا ومحيطا بكل شيء، فيه الجدية والحزم، فيه الصدق والعدل (53)، والمثلث لطيف الشكل، يشبه إلى حد ما شكل البيوت أو المعابد (54) .

إن النقد التشكيلي من وجهة نظر العارف هو انغماس وحلول في بحور الجمال وأنواره المشرقة، وهو سبر لأغوار الكمال ومعانيه محاسنه المتوهجة، فالألوان ظلال الأرواح التي تنتعش وتتغذى بالألوان وإشراقاتها، كما بالأوراد وأسرارها، فذو الجلال يحب الجمال ويثيب عليه، وهو جميل يحب الجمال، ومن هنا كانت أسماء غريب في رسومها وفي نقدها تبحث عن الجمال المطلق، والجوهر الكامن وما يتضمنه من قيم يعبر عنها الفنان بألوانه وخطوطه

وزخرفاته، لذلك نغامر مرة ثالثة ونقول : إن الناقد العارف يحتاج (لوحة عارفة) كأنهما خلقا لبعضهما، وكما قال الشاعر :

فلم تَكُ تصلح إلا له ولم يَكُ يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها

هوامش

1. رحلة المئة سؤال وجواب ج 1 صفحة 63

2. نفسه صفحة 127

3. أسماء غريب تجليات الجمال والعشق عند أديب كمال الدين ، منشورات ضفاف بيروت، الطبعة الأولى 1434هـ/ 2013 (نسخة إلكترونية أهدانيها الشاعر العراقي أديب كمال الدين)

4. وهذه أسماء بعض قصائدها : هارمونيكا حمراء، مقام العرش الأحمر، أيام الدب الأحمر والتنين الذهبي، غصن من اليشب الأحمر، ملح أحمر، سم أحمر، بقرة بيضاء وامرأة خضراء ووردة حمراء قانية، ليلة بيضاء، شجرة العسل الأزرق، الربيان الملكي الأزرق، اشهد أيها البحر الأسود ، ثقب أسود، الأذريون الذهبي ... إضافة إلى عشرات التراكيب اللغوية الملونة التي تعج بها كتاباتها من قبيل : الطفولة الخضراء، الشيب الأحمر، الغرفة الزرقاء، الصخر الأحمر، الناقة السوداء، الصولجان الفضي، حبل الشفق الأخضر، الإمبراطورة الذهبية، البدر الفضي، العرش الأحمر، الشمس السوداء، الحرب الزرقاء، الموت الأبيض، البرق الأسود، القلب الأخضر، الحرف اللازوردي، النور الأسود، الغربان البيض، الوله الأخضر ...

5 . د. فاضل عبود التميمي : تقديم ديوان مقام الخمس عشرة سجدة صفحة 87

6. انظر موليم العروسي: التشكيل والفوتوغرافيا على خطى التأسيس، مجلة الفنون المغربية، السلسلة الجديدة صفحة 29 العدد الأول بتاريخ فبراير 2019

7. 8 . انظر رحلة المئة سؤال وجواب ج 1 صفحة 196

9. نفسه 196

10. كواكب على درب التبانة صفحة 553 و 569 هامش 2

11. انظر د صالح الطائي : الدكتورة أسماء غريب وتجليات أديب كمال الدين : قراءة في كتاب (تجليات الجمال والعشق عند أديب كمال الدين) موقع almothaqaf.com

12. أسماء غريب : السيدة كركم صفحة 46

13. الشيخ محيي الدين بن عربي : ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق صفحة 26 هامش 1

14 . صلاح عبد الصبور حياتي في الشعر صفحة 37

15. نفسه صفحة 27

16 . نوال هادي حسن : المرأة ومحاكمة التاريخ بعين الروح في قصيدة (نفر آتون) للشاعرة الناقدة د أسماء غريب، ضمن ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 341

17. رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 196

18. أسماء غريب : كواكب على درب التبانة صفحة 159

19. أسماء غريب : النقطة الجريحة والحرف المتشظي الباكي في تشكيليات الدكتور عاصم فرمان ضمن كواكب على درب التبانة صفحة 517

20 . 21 . قراءات من ذاكرة الحرف صفحة 11

22. نفسه صفحة 71

23. انظر كواكب على درب التبانة صفحة 44

24. نفسه صفحة 45

25. كواكب على درب التبانة صفحة 29

26. رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 174

27. انظر تمثلات السادة الملائكة الكروبيين في تجربة صبري يوسف الإبداعية: من الأدب إلى الفن التشكيلي قراءة عرفانية، ضمن قراءات من ذاكرة الحرف صفحة 82 و 92

28. أسماء غريب: تجليات الجمال والعشق مرجع سابق صفحة 19 /20

29. رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 174

30. كواكب على درب التبانة ج 1 صفحة 11

31 . قراءات من ذاكرة الحرف صفحة 275 .

32 . انظر كواكب على درب التبانة صفحة 517

33 . انظر أدونيس الصوفية والسوريالية صفحة 11

34 . المواقف والمخاطبات صفحة 116، وهو القائل :" وقال لي : كلما قويت في الجهل قويت في العلم " والقائل :" من لم يستقر في الجهل لم يستقر في العلم " نفسه صفحة 64 والقائل :" العلم حجاب الرؤية " نفسه صفحة 53

35. انظر كواكب على درب التبانة صفحة 516 وكذلك أدونيس الصوفية والسوريالية صفحة 11

36. تمثلات السادة الملائكة الكروبيين مرجع سابق صفحة 93

37 . نفسه صفحة 88

38 . انظر حملة العرش في الصحيفة السجادية مرجع سابق صفحة 118

39. أدونيس مرجع سابق صفحة 202

40 . تمثلات السادة الملائكة الكروبيين مرجع سابق صفحة 82

41. أدونيس الصوفية والسوريالية صفحة 72

42. نفسه صفحة 71

43 . تمثلات السادة الملائكة الكروبيين مرجع سابق صفحة 87

44 . تمثلات_السادة الملائكة الكروبيين في تجربة صبري يوسف مرجع سابق صفحة 92

45. ذخائر الأعلاق مرجع سابق صفحة 19

46 . 47. السيدة كركم، صفحة 24

48. انظر ذخائر الأعلاق صفحة 80

49. أسماء غريب : أنا رع صفحة 146

50. أسماء غريب إشارات الألوان : قراءة في ديوان (الحرف والغراب) لأديب كمال الدين ضمن كواكب على درب التبانة صفحة 412

51 . ذخائر الأعلاق صفحة 19

52 . 53. 54. أنا رع صفحة 34

أسماء غريب المحبة لآسفي :

من حاضرة المحيط إلى جزيرة الشمس

أسماء غريب ومدينة آسفي . مسقط رأسها . كلاهما عارف بالله تعالى، (1) وعلاقتها بمدينة آسفي ليست مجرد علاقة بمدينة ولدت فيها وانتهى الأمر، بل هي المدينة التي رأت فيها النور، وتسميها أطلا نتيس كما تسمي نفسها ابنة الأطلانتيس، وتربطها علاقة جيدة بحروف المدينة لا سيما الألف، ألف آسفي، وآه من ألف آسفي، فهو الألف العارف، قيوم الحروف وسيدها، رمز المدينة العارفة بالله، يطرق الأبواب ويحكي عن مدينة متعبة، لكنه يمنح النظرة الثاقبة والنظر الجديد لتعيد السيدة أسماء رؤية المدينة من جديد، فهي القائلة ذات بوح :

" حينما طرق الألف بابي

فتحت له

ورأيت فوق كفه اليمنى

بحرا متلاطما من الحروف

كان الألف جنديا أثقلت كاهله الحروب

ولم يبق فوق صدره سوى درع حديدية

غرست فوقها السيوف والنبال والسهام

حتى أنه يبدو كقنفذ متحرك

كان الألف عارفا يبحث عن سرير

يضع فوقه أثقاله

وكان السرير وسط نهر جارف من الطين

قلت له : نم هنا

وحينما آفاق بعد ثلاثمائة عام

أعطاني تفاحة خضراء

كنت أعرف أنها مسمومة

لكنني أكلتها كاملة

فرفع عني غطاء الموت

وأصبح بصري حديدا

ورأيت كل شيء :

سرير جدي

وملكه وعرشه وحفيده

ورأيت قصور الجن والإنس

وأبجدية الكون كاملة

ورأيت مدينتي، أطلا نتيس " (2)

وقد أحسنت الشاعرة عندما عبرت عن حبها للمدينة عبر استدعاء حرف الألف فـ "ليس أروع في التعبير والدلالة من هذه الألف الممدودة، التي يعتبرها العرفانيون أعلى درجات تجلي المحبوب في محبيه "(3)

وتتوطد علاقتها بالمدينة أكثر فتصبح علاقة انصهار واتحاد، وجْد وانوجاد، تصطبغ بها وتنصهر فيها " فأصبحتها وأصبحتني، ولبستها ولبستني " (4)، فهو انصهار يشبه الحلول، وانصباغ كالاتحاد، حلول في المدينة زمانا ومكانا عبر استذكار عطر المكان وعبق الزمان، واتحاد بها تاريخا وتراثا وحضارة، لذا فكلما حنت إلى آسفي وهي في " غربتها " كان حنينها إليها حنين محبة واشتياق لا حنينا عرضيا يزول بزوال مُتَعَلِّقه، فهو حنين إلى النور الذي رأته أول مرة بآسفي، نور الولادة ونور الولاية، حنين إلى الطفولة والشموس والنجوم وإخوة النور، تقول : " منذ طفولتي كانت مدينتي ولم تزل تخطف بصري ببحرها المشمس الصافي، وسمائها القمراء ذات النجوم الساحرة، والجميل في كل هذا أنني كنت أعرف من تكون شموس محيطها الأطلسي، ونجوم سمائها كذلك ... أما الشموس فأعني بها أولياء الله الصالحين وأتقياءه من أهل الزهد والتصوف الذين أثْروا الدنيا بعلمهم وعملهم وفاضوا بوهج النور وعطر الحروف على الأرض من مشارقها إلى مغاربها، وأما النجوم فهي أسماء علماء آسفي الكبار الذين وهبوا حياتهم لشتى العلوم كالرياضيات والميقات والطب والفقه وغيرها من العلوم الأخرى، ولم أك لأعرفهم لولا نزهاتي الطفولية البسيطة التي كانت تحملني من حين لآخر إلى المدينة القديمة وإلى رباط الخير " (5)، وهي بهذا تقدم وعيا بالمدينة في صورته المشرقة، وعي تاريخي وحضاري مرتبط بإنجازات العلماء في مختلف المجالات، وبمواقف العرفاء والصلحاء، وبتفاهمات السكان عبر تعايشهم المشترك رغم اختلاف معتقدهم .

" آسفي مدينتي التي رأيت فيها النور " (6) هذا هو التعبير الأكثر تداولا في كل كتابات أسماء غريب كلما تحدثت عن مدينة آسفي، ولا تستعمل عبارة " مدينتي التي ولدت بها " وهناك فرق شاسع بين التعبيرين، فرق في الدلالة والمعنى والإيحاء، كما تستعمل عبارة " مدينتي الأم " (7) بكل ما تحمله كلمة الأم من معاني ورمزية وشحنات عاطفية ووجدانية وتخليقية، فمدينة آسفي ليست حيزا مكانيا / جغرافيا فقط، بل هي موطن النور والتجلي والرؤية والرؤيا، موطن الخلق والبدء، فالتعلق بالأماكن هو نوع من التجلي العرفاني، لذلك لما أغمي عليها ذات مرة رأت جمال بيوت المدينة العتيقة بآسفي (8)، بل لقد وصفت أحد بيوت المدينة القديمة كأنه جنة من جنان الله على الأرض (9)، ولذلك كانت مدينة آسفي عارفة بالله، حيث يتجاور مفهوم المكان بمفهوم التّنَوّر،ولما ظهر التجلي والنور مرة أخرى بصقلبة كانت أيضا صقلية عارفة بالله (10)، وما أشبه هذا بقول محيي الدين بن عربي :

رأى البرق شرقيا، فَحَنّ إلى الشرق ولو لاح غربيا لحن إلى الغرب

فإن غرامي بالبريق، ولمحة وليس غرامي بالأماكن والترب (11)

صحيح أنه من باب تضييق الواسع أن نحصر أسماء غريب إلى مدينة واحدة أو بلد واحد، وهي الهدهد السيّار وحمامة السلام التي تحلق في الأعالي تروم اللامنتهى، باحثة عن سلطان الحقيقة النورانية المطلقة، ومن الغبن أن نحبسها في حيز جغرافي ومكاني ضيق وهي التي تحاور بروحها المجرات والأفلاك والنجوم، وتسبح في أعماق الكون الفسيح بقدس الروح، وبقلب مرهف ندي حالم، فتستعصي على الانتماء والتحيز المكاني، فتطلعاتها كونية تسافر عروجا لتصبح خارج الزمان والمكان، لكن مع كل هذا فلا بد من توطين الروح الوالهة، والرجوع بها لمهد الطفولة ومرتع الصبا حيث رأت النور أول مرة، وأنا الباحث في التاريخ

المحلي والمولع بمدينة آسفي تهمني الإشارة العرفانية للمكان وما تحمله من دلالات وفيوضات وإيحاءات، فالمدن ليست مجرد بيوت مأهولة بالسكان، وأزقة وشوارع وأسواق ودكاكين، المدن شيء غير هذا على الإطلاق، إنها قلب ينبض، وأذن تسمع، وعين ترى، وأنف يشم، وشفاه تتحدث، ويد تلمس، وقدم تمشي في كل وقت وحين ... فمدن عن مدن تختلف وتتميز يا قارئي ."(12)، لذلك فمهما حاولت أسماء غريب التحليق بروحها الشفافة في كون الله الفسيح، والسفر بخيالاتها نحو المطلق، فضلا عن بلاد المهجر، فإنها تظل مرتبطة شعوريا ووجدانيا بموطنها الأول ومسقط رأسها آسفي / المغرب، بتصوراتها وتجاربها ومخزونها الحضاري والفكري، نرى ذلك من خلال الاستذكار المكاني في حروفياتها المتنوعة، حيث تسترجع الذكريات، وتقيم التشابهات، وترصد التضاد أو التكامل ..

في مدينة آسفي العارفة بالله حيث الأولياء والصلحاء، والعبّاد والزهاد، وإخوة النور، وحيث المعالم الإسلامية بجانب المعالم المسيحية واليهودية وفضاءات التسامح والعيش المشترك تعلمت أسماء غريب الكثير من القيم، وانطبعت في ذاكرتها وأدبها الشيء الكثير حيث " لم تكن وحدها دروس التسامح التوحيدي العظيم التي كانت تلقنني إياها مدينتي العارفة بالله في كل يوم وحين، وإنما تعلمت أيضا كيف تكون قصيدتي نحلة تتخذ من شجرة الشعر بيتا تكون فيه الحروف بلابل عدنية تشدو بأحلى الترانيم، والكلمات صوتا لا مرئيا يتحرك ويتمدد إلى أن يلامس ابعد نقطة في المدى الواسع " (13)، وفي آسفي العريقة تاريخيا وجغرافيا، ذات التعدد الثقافي والحضاري، المسكونة بروح التعايش والتسامح، الحاضنة للغرباء والوافدين، وجدت أسماء غريب في قلبها " منذ البداية الاستعداد الكامل لولوج تعددية الكون واختلافاته التي تزيده ثراء وعمقا " (14)، وتزيد موضحة تأثير المدينة على تكوينها وثقافتها :" آسفي أو حاضرة البحر المحيط كما نعتها ابن خلدون في مقدمته، هي البئر التي شربت منها حرف

العشق والمحبة، ليس فقط لأنها كانت ولم تزل معلمي الأول، وإنما لأنها صورة مصغرة للمغرب الحبيب ... هذا الأب الحنون، والأم العطوف الرؤوم التي رضعت من ثديها كيف أكون مؤمنة قبل أن أكون عابدة، وكيف تكون لغتي لغة سماء ملكوتية قبل أن تكون لغة أرض ناسوتية، وكيف يكون حرفي حرا ناطقا بشهادة الإسلام، ومرتلا للقرآن الكريم وحافظا لأدعية السجاد وابن ناصر الدرعي وعارفا بالصلاة الربِيّة، وباحثا في البذور والمواعيد " .(15)

من آسفي إلى صقلية : رحلة الأنوار والتجليات

في رحلة الأنوار والأسرار والعلوم من مدينة آسفي العارفة بالله إلى جزيرة صقلية المتوجة بالنون القمرية، كانت هذه الأخيرة / الجزيرة أُما ثانية بعد الأم الأولى / آسفي المصونة بالله، اكتشفت خلالها أسماء غريب أن للمدن أرواح ومقامات وتجليات، ولها حظوظ وحظوات حسب تعبير العلامة محمد ابن تاويت التطواني (1917/1993)، فكانت صقيلة العلم والمحبة، صقلية البداية والتخطيط والسند (16)، حيث أعلنت الجزيرة بين يديها المحبة كما أعلنها قبل مئات السنين الملك رودجير الثاني (1095م/1154م) لجدها ابن سبتة العالم الشريف الإدريسي (1099م/1165م) (17)، وما أكثر أوجه التشابه والتلاقي بين صقلية وآسفي سواء في الخيرات والبركات، أو في التاريخ الحافل بالعجائب والغرائب، أو في تقبل الغرباء والوافدين والأقليات الدينية والتعايش السلمي، بل ما أكثر التشابه حتى في التفاصيل الصغيرة كالطبخ والخضروات وخيرات البحر ووجوه الناس وروائح الأسواق ... وهذا التشابه يولد في العقل الاستذكار والحنين، وفي الفؤاد الوجد والانوجاد، تشابه يفضي إلى التماثل القريب من التطابق، وكأنها انتقلت من المدينة الفاضلة إلى المدينة الفضلى، فإذا كانت صقلية جزيرة الشمس، فإن هذه الشمس نفسها تنحني كل مساء لتقبل رأس آسفي قبل الغروب، والغروب وحده يملك

الجواب، وإذا كنت صقلية عاصمة القباب الحمر، فأسفي عاصمة القباب الخضر والجوامير الذهبية، وإذا كانت صقلية أرض الصديقين والشهداء "وغادة تزدان سماؤها بنجوم السادة الشعراء البكّائين، ورجال الحق الصالحين، أهل الصبر والصمت والصوم في المحاريب المشعشعة بأبخرة الفلاح والإيمان الراسخ، والحافظين في الغيب لسر المدينة وقلاعها وحصونها "(18)، فإن آسفي أرض الألف ولي، أرض الأولياء العرفاء، والصلحاء الأتقياء، والعلماء النبغاء، والشعراء البلغاء، والأدباء الحكماء، والشهداء الشرفاء، والفقهاء الفضلاء، والنقباء النجباء، والكبراء الكرماء... وفيهم العباد والزهاد والقواد والرواد...هم النصير إذا ساء المصير، وهم الكهف إذا عظم اللهف، بلغاء إذا خطبوا، شجعان إذا ركبوا، كرماء إذا وهبوا، علماء إذا كتبوا ...المجد فيهم مُؤثل منذ الرعيل الأول، والعز فيهم مؤصل ثابت لا يتحول، معدن الخير والجود في كل قليل أو موجود، لا يظنون بالنوال، ولا يصمتون وقت السؤال...أرض تنبت الأولياء كما تنبت العشب، كل حجرة بولي، وكل ركن بتقي، أهل المعرفة والعرفان، والصدق والبرهان، ولسبب ما وصفها ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي بكونها " : لطف خفي، وجناب حفي، ووعد وفي، ودين ظاهره مالكي، وباطنه حنفي، الدماثة والجمال، والصبر والاحتمال، والزهد والمال، والسذاجة والجمال، قليلة الأحزان، صابرة على الاختزان، وافية المكيال والميزان، رافعة اللواء بصحة الهواء، بلد موصوف، برفيع ثياب الصوف، و به تربة الشيخ أبي محمد صالح..." (19)، ولأمر ما قال عنها الوزير الأديب الشاعر محمد بن إدريس العمراوي(ت 1296/1879م)

إن لم تعاشر أناسا خيموا آسفي فقل على عمر قد ضاع وا أسفي

إنـه التشـابه والتكامـل النـوراني / الروحـاني بيـن صـقلية وأسـفي، والأنـوار تتضـافر ولا تتنافر، تتزاحم وتتراحم، والحق يقال فإن كل وصف أطلقناه على مدينة آسفي فإن لـه شبها أو أكثر في صقلية الخير وعاصمتها باليرمو؛ حيث الدفـء والحنان والحب بلغة روح القدس، فمـا أشـبه صـقلية بآسـفي، ومـا أعجـب أن تتوحـد الأمـاكن والأزمنـة فـي قلـب العـارف، بـل ينمحـق الزمـان والمكـان ويختفيـان فلا يـرى إلا الأنـوار والبركـات والخيـرات، ولا يبقـى إلا القلـب العاشـق المتجرد عن المكان السابح في ملكوت الله تعالى، ومن عجائب تصاريف القدر وموافقاته أن الشريف الإدريسي الذي عاش بصقلية في كنف الملك رودجير الثاني وأهداه خريطتـه الشـهيرة هو نفسه أول من حاول إعطاء تفسير عربي لاسم آسفي عبر ذكره لقصـة الفتيـة المغرريـن الذين خرجوا من اشبونة وتاهوا في المحيط (20)، وبالتالي فكل مـا هنـاك (تراث، تاريـخ، ثقافـة، حضـارة ..) يشـبه مـا هـو هنـا ويـذكر بـه، لـذلك فالمكـان يكـون داخـل العـارف لا خـارجه، لأن المكـان هـو الذاكرة والتاريـخ، وأسـماء غريـب لا تفتـأ فـي كـل أعمالهـا الواقعيـة والمتخيلـة تـذكر آسفي وتذكر بها، ففي رسالتها المتخيلة عن العشق والموجهـة إلـى القديس سـان فلانـتينو دا تيرنـي (1480م/ 1542م) تـذكره بأصـلها وتصـف بلـدها الـذي جـاءت منـه فتقـول :" أرض الشـمس والكمـالات النورانيـة، والخيـرات الجامعـة بيـن تجليـات الحـرف المحمـدي والحـرف العيسوي، وبينهمـا الحـرف الموسـوي " (21)، وتستحضـر آسـفي وهـي تخـاطب تخييلا صديقتها بيرثافون سوتنر(1843م/1914) قائلة :" إذ كل ما أريده فـي هذه اللحظـة هو أن أدخل إلـى محراب قلبي لأسمع صوت مدينة آسفي وهي تخاطبكِ بحرف المحبة، وتبثك أشجانها..." (22)

بيـن آسـفي (مسـقط الـرأس) حيـث رأت النـــور،وصقلية (مهـوى النفـس) حيـث أشـرقت وتبرعمت، استطاعت أسماء غريب تطويـع المكـان / الغربـة بسلطة الإيمـان بالقضـاء والقدر،

وحولتها إلى "سياحة" علمية ومعرفية وعرفانية متجاوزة ما قد يحس به المهاجر من فراغ وصراع نفسي مع المكان الجديد، فإذا كانت آسفي قَدَر الميلاد فإن صقلية قَدَر المستقر، وإذا كانت آسفي مدينة النور والمنطلق، فصقلية / باليرمو مدينة الوصل والوصال والوصول، وإذا كانت آسفي مدينة القباب الخضر والأولياء فصقلية مدينة القباب الحمر والقديسين، وإذا كانت آسفي مدينة الأسوار والأبراج فصقلية مدينة القلاع والحصون،وكأننا أمام ثنائية (المِنْ) و(الإلَى) التي رصدتها هي نفسها في أحد مقالاتها النقدية (23)، فوحدت بين المدينتين في قالب صوفي وحضاري جذاب تحضر فيه مختلف عناصر التعايش الإنساني، حيث تعانقت مظاهر الوجود وتلاقحت عناصر الحضارة، وهي بتطويعها للمكان الجديد/ الغربة وتمتعها بجمالياته أعتقد أنها سارت عكس مسار بعض الشعراء الذين ضجروا وتضايقوا وأحسوا بغربة المكان الجديد عندما هاجروا موطنهم الأصلي واستلهموا مفردات الضياع والحزن والغربة في المدينة الجديدة كبدر شاكر السياب (1926م/1964) وعبد المعطي حجازي (1935/)،وصلاح عبد الصبور (1931/1981) وسعدي يوسف (1934/) (24)،وهنا تكمن جمالية التجربة الشعورية عند أسماء غريب.

تطويع الغربة في أبعادها المكانية والنفسية والروحية والفكرية والذي نتج عنه انسجام الرموز وتداخل الهويات وتلاقح الثقافات، لم يكن ليحصل دون وجود عاملين:

. الأول هي التجربة العرفانية باعتبارها مسارا في التفكير فهي تحرر صاحبها من الاغتراب المكاني وتدلل صعوبات المكان على اعتبار أن الأرض كلها لله، وإذا كان المكان هو حجاب ومانع للكشف عند بعض العرفاء، فإنه عند أسماء غريب هو مكان رؤية النور، وبالتالي يحصل التجاور بين المكان والتنور.

. الثاني هي البشارة العيسوية المجيدة التي تؤنس الغرباء، وكأنها حصلت على مفاتيح لأقفال الغربة، تقول مخاطبة عيسى عليه السلام :" ومن غيرك يا سيدي يسوع، رفيق الغرباء في غربتهم ؟ ومن غيرك يكفكف دمعهم، ويبلسم جراحهم ؟ بل من غيرك يعرف معنى الرحلة والزاد والطريق ؟ ... أنت ولا أحد غيرك علمني أسرار الغربة وأعطاني ذات فجر مفتاحها، عند ساعة من ساعات التجلي حينما أدخلت يدك المضيئة إلى قفصي الصدري، وغسلت برحيق المسك سخيمتي ... أتذكر ذلك يا سيدي؟ أتذكر حينما قلت إن الغريب يموت شهيدا، ويقاس له قبره من مكان وفاته إلى أرض وطنه الأم ؟" (25)، وقد اختارت أسماء غريب تيمة الحضور العيسوي لغربتها وكأنها تلقفت إشارة ابن العربي القائل :

إلى نهر عيسى حيث حلت ركائبهم وحيث الخيام البيض من جانب الفم

ويقول هو نفسه شارحا هذا البيت :" ونهر عيسى أي العلم المتسع العيسوي المشهد " (26)،ومعلوم أن المقام العيسوي مقام علوي سماوي، فيه دلالة الرفعة والسمو والسلام والطهارة والمحبة، كما فيه دلالة العروج نحو الملكوت الأعلى، ناهيك عن كونه مقام كلمة الروح القدس، فكان الاستشهاد به " أكمل في الوصلة" (27)، ولهذا كانت أسماء غريب واضحة في تحديدها لمعنى الغربة تقول موضحة: "ليست مادية الأرض من تحدد غربة الإنسان، وإن بعد عن مسقط رأسه، إنما الغربة غربة الروح والقلب، ومن خلا قلبه من الله فهو غريب وإن كان بين أحضان الأهل والأحباب " (28).

آسفي المدينة التي رأت فيها النور، وصقلية جزيرة الشمس والضياء، إننا أمام معادلة نورانية توهجية تجسد واقع الرحلة / الهجرة من نور إلى نور، والأنوار لا تتزاحم أو تتضاد، وكأنها تستلهم شعر علي محمود طه (1903/1949) الذي يقول :

" لو مت عشت في المدينة المنيرة

مدينة الصحو الذي يزخر بالأضواء

والشمس التي لا تفارق الظهيرة

أواه، يا مدينتي المنيرة

مدينة الرؤى التي تشرب ضوءا

مدينة الرؤى التي تمج ضوءا" (29)

في مدينة آسفي رأت أسماء غريب النور، وفي صقلية أشرقت وتوهجت، ورضعت هناك من لبن حرفها الصافي الزلال الحكمة والصبر، وتدرجت معارفها لتصبح من أهل الحضرة والحضور، وحب المدينتين هو انتصار لقيم التسامح والعيش المشترك، كما أنه إبراز لعبقرية المكان وحنانه، لكن يبقى الحنين دوما لأرض النور / أرض الميلاد وأسرارها وعلومها وبركاتها ..صفة لازمة، إذ يستيقظ هذا الحنين مرة بعد أخرى، ولعل قصيدة (نيازك الذهب) (انظر الملحق) خير معبر عن هذا الحنين والشوق لآسفي، وهو حنين له ما يبرره حيث تقول عن موطنها الأول :" شمسي التي لا تغيب، وفيه وحده شربت كأس الأمان مذ كنت طفلة صغيرة، وفي حضرته أيضا تعلمت كيف أنصت إلى قداسة الأبجدية، وكيف أمسك بتلابيب السر وأغلق عليه في كهوف وسراديب الصمت الأبدي ." (30)، وهكذا تتماهي المدينة مع الوطن الكبير فتصبح كلمة (وطني) أو (بلادي) دالة على المدينة وعلى الدولة .

لقد كانت " غربة" أسماء غريب إشراقا وشروقا من نوع آخر في بلد الغرب و"الغربة"، وهناك تعيد ابتكار توهج الشمس، وتنسج جدائلها بِنَوْلِ المحبة والسلام، وتبني مقامات عبر سفرها

المعراجي المنور بالأسماء والحروف، هناك حيث استكملت المعرفة والعرفان بين الجامعات والجوامع، فجمعت شروط المحبة التي غسلت " الغربة" فأصبحت صقلية " الغرب" عارفة بالله، في امتزاج بين روح الشرق وعقل الغرب، وكأنها تعيد رسم ملامح والدها الشرقي غريب الذي جمع في اسمه هذين العالَمين / الشرق والغرب، وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله : "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ". سورة فصلت / 53

هوامش

1. تعتبر أسماء غريب مدينة آسفي مدينة عارفة بالله، انظر مقالها مدينتي العارفة بالله ضمن 99 قصيدة عنك صفحة 9

2. من قصيدة (جبل ق) ديوان فيتامين سي صفحة 33/34

3. أحمد بلحاج آية وارهام : من جماليات التجلي الصوفي في الشعر المغربي المعاصر، مجلة الثقافة المغربية صفحة 310، العدد 39 بتاريخ ماي 2019

4. رحلة المئة سؤال وجواب ج 1 صفحة 221

5. نفسه صفحة 100

6. كواكب على درب التبانة صفحة 260

7. قراءة في ذاكرة الحرف صفحة 133

8. 9 . قراءات من ذاكرة الحرف صفحة 333

10. السيدة كركم صفحة 114

11. ذخائر الأعلاق صفحة 45

12. أسماء غريب سيدة الصمت والرضا ضمن ديوان 99 قصيدة عنك صفحة 368

13. مدينتي العارفة بالله ضمن 99 قصيدة عنك صفحة 12

14. رحلة المئة سؤال وجواب ج 2 صفحة 60

15 . مدينتي العارفة بالله مرجع سابق صفحة 12

16. د كريم حميد دراجي مرجع سابق صفحة 10

17. السيدة كركم صفحة 19

18 . قراءات من ذاكرة الحرف صفحة 68/69

19. لسان الدين ابن الخطيب السلماني الغرناطي : كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار صفحة 160/161 تحقيق ودراسة د محمد كمال شبانة

20. انظر القصة كاملة قي كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

21. رسالة في وعن العشق من أسماء غريب إلى فلانتينو دا تيرني

22. أنا رع صفحة 60

23. انظر تمثلات السادة الملائكة الكروبيين مرجع سابق صفحة 69/73

24. د مختار علي أبو غالي :المدينة في الشعر العربي المعاصر سلسلة عالم المعرفة رقم 196

25. قراءات من ذاكرة الحرف صفحة 68

26. ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق صفحة 20

27. نفسه صفحة 24

28. رحلة المئة سؤال وجواب ج 1 صفحة 169

29. المدينة في الشعر العربي المعاصر صفحة 269

30. أنا رع صفحة 61

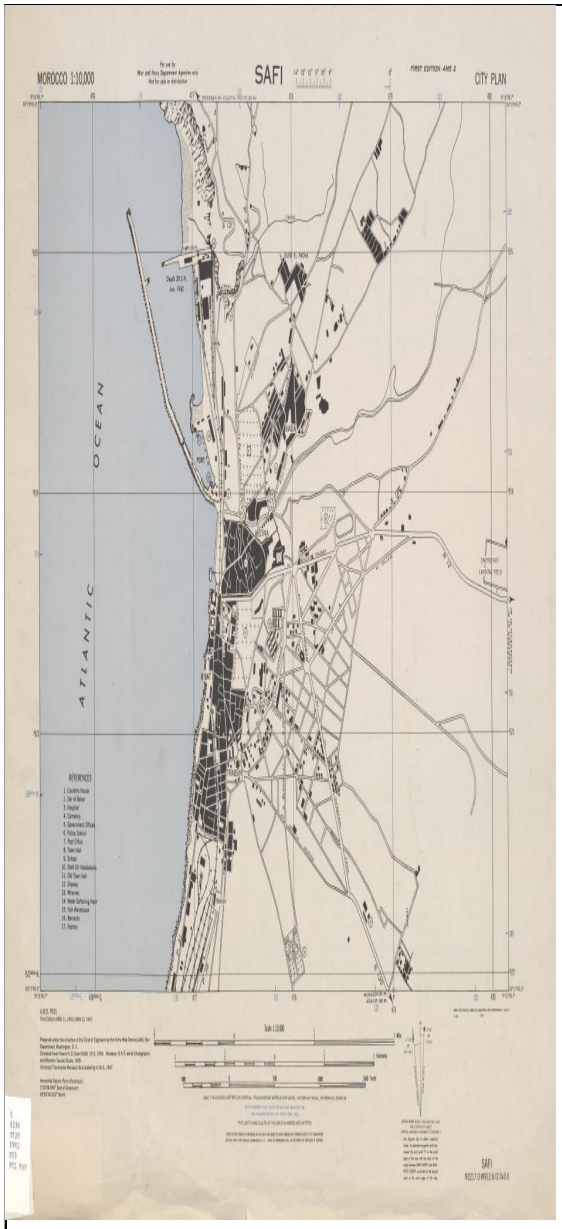
MOROCCO 1:10,000
SAFI
CITY PLAN
FIRST EDITION - AMS 2
ATLANTIC OCEAN
REFERENCES
Scale 1:10,000
SAFI

Maßstab 1:70 000
Kilometer
Porto
Lanterna
Batteria del Molo
Golfo di
Castellamare
Palermo
Stazione
Pal. Reale
Cappuccini
Giardino
Stazione
Batteria
S. Erasmo
S. Giovani
Campo S.to
Arenella

خاتمة

" غريب" أربعة أحرف وعوالم متعددة، أربعة حروف ترمز لعناصر الحياة الأساسية الماء والهواء والتراب والنار، فهي الشاعرة والناقدة والروائية والتشكيلية العارفة بالله، هذه القامة الأدبية، والهَامَة الروحانية التي أجادت التجوال والانتقال من محاريب الشعر وفيوضاته إلى فضاء التشكيل وإشراقاته، ومن عوالم التصوف وتجلياته إلى بحار النقد ونفحاته، كل ذلك مُضَمّخ بحب صوفي لمدينتها التي رأت فيها النور، ومُعَطّر بعشق صادق لصقلية الأم الثانية حيث أشرقت وتنورت، فكانت خلال هذه الرحلة والسفر العرفاني والمعرفي شاعرة مقتدرة تسير في مقامات أهل اليقين تمزج الحرف بالفرح، وداعية للسلام وفق نهج إخوة النور والمحبة والوئام، وناقدة عارفة بأسرار الحروف وإشاراتها وإلماعاتها، والألوان وروحانياتها وومضاتها، وفنانة فطرية أصيلة تتحلى بأوصاف أهل الله، أهل العرفان والمعرفة، سالكة في دروب النور والطمأنينة، تتحدث بلغة الرمز والإشارة تارة، وبوضوح البوح و العبارة تارة أخرى، وتارات أخرى تتحدث بلغة أهل الخيمياء والفلسفة، تصول في عالم الحرف وما يرمز إليه من عوالم الغيب، وتعوم في بحر النقطة وما تمثله من عالم الشهادة، وتسافر في فضاءات النون وما ترمز إليه من إبداع وحروف وبوح، فما في سطرها ينبئ عما في صدرها، وحرفها بإشاراته المعراجية والمرجعية المحلق بين كواكب السماء وأبراج السناء يجول بين كتاب الله المنشور وكتابه المسطور، داعيا إلى العلم بلغة الحلم، وإلى الكلام بلغة السلام .

أرجو في الختام أن أكون رددت بعض الدين عبر الكتابة عن هذه الأديبة المتميزة، دين للمدينة التي أنجبتنا جميعا أسفي المصونة بالله، وما أكثر ما تحبل به المدينة من رجال ونساء متميزون في مختلف المجالات الأدبية والعلمية وشتى صنوف المعرفة، ودين لأسماء

غريب التي كتبت عن الفتى المحترق وقدمت مشكورة قراءة في حروفياته التاريخية، فنسأل الله أن يكون كل ذلك من العلم النافع دنيا وأخرى، والحمد لله رب العالمين .

ملحق

د. أسماء غريب : سيرة ذاتية وعلمية

أديبة وناقدة ومترجمة وتشكيلية مغربيّة-إيطاليّة، (مقيمة في إيطاليا)

ولدت بمدينة آسفي يوم الأربعاء 22 محرم الحرام عام 1392 هـ / الموافق 8 مارس 1972

. تلقت تعليمها الأولي بآسفي، والجامعي بجامعة القاضي عياض بمدينة مراكش .

. تخرّجت سنة 2006 في جامعة باليرمو (قسم الدراسات الشرقية الإسلامية) بإيطاليا، وحصلت على لقب أوّل امرأة عربية تتخرّج بمرتبة الشرف الأولى من جامعة الدراسات الشرقية الإسلامية،وقد كانت أطروحة إجازتها باللّغة الإيطالية حول "أسرار الحروف النورانية بالقرآن الكريم".

- حصلت سنة 2008 ومن الجامعة ذاتها، على شهادة الماجستير الدولية للدراسات العليا بمرتبة الشرف الأولى، تخصّص: دراسات حول البلدان العربية والإفريقية. وكانت أطروحة الماجستير حول "إسراء ومعراج الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام"

- في بدايات سنة 2012 حصلت بروما على دبلوم في التحرير الأدبي والصحفي من "ستيلوس" مؤسسة علوم التحرير الأدبي والصحفي باللغة الإيطالية؛

- نالت في يومه الخميس 8 شعبان 1433 الموافق لـ 28 حزيران 2012، بروما بجامعة المعرفة (La Sapienza) تخصّص (حضارات وثقافات دول إفريقيا وآسيا)، شهادة الدكتوراه

بدرجة امتياز وبمرتبة الشرف الأولى عن أطروحتها الموسومة بـ (الحداثة في المغرب من التاريخ إلى الأدب: محمد بنّيس أنموذجا للدراسة والتحليل).

مستشارة في هيئة التحرير لدى مجلة السّلام الصادرة من السويد (ستوكهولم)، والتي يرأس تحريرها الأديب السوري صبري يوسف

عضـــــــــــــــو رابطـــــــــــــــة الأدبـــــــــــــــاء العـــــــــــــــرب

– شاركت في العديد من الأنشطة الثقافية الخاصّة بحوار الأديان بأهمّ المؤسسات التعليمية بمدينة إقامتها

– نالت جائزة الشعر العالمي بجزيرة سردينيا الإيطالية عن قصيدتها (السلطعون الناسك) عام 2009، وذلك في إطار فعاليات مهرجان أكتوبر للشعر العالمي بمدينة ساسري

<u>إصداراتها :</u>

<u>في القصة</u>

– خرجَ ولمْ يعُد (مجموعة قصصية)، ط 1، مطبعة الحقّ، آسفي،المغرب، 2006/ ط 2، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2016.

– أنا رع، (مجموعة قصصيّة)، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2016

<u>في الشعر</u>

– بدونك، (ديوان شعري) باللغتين العربية والإيطالية، كليبسيدرا، إيطاليا، 2009

– تانغو ولا غير، ديوان شعريّ مشترك (أسماء غريب وسعد الشلاه) باللغتين العربيّة والإيطاليّة، منشورات آريانا، إيطاليا، آذار 2014

. ديوان 99 قصيدةً عنْكَ (ديوان شعريّ)، ط 1 وط 2، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2015/2016

– مقام الخمس عشرة سجدة (ديوان شعري) باللّغتين العربية والإيطالية، ط 1، دار نووفا إيبسا إيديتوره، إيطاليا، 2013 / ط 2، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2016

– ما لمْ تبُحْ بهِ مريمُ لأحدٍ، ويليهِ متون سيّدة، (ديوان شعريّ)، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2016

– مشكاة أخناتون، (ديوان شعريّ)، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2018

– تستوستيرون، (ديوان شعريّ)، دار الفرات للثقافة والإعلام، 2019

. ديوان فيتامين سي دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، بابل مارس 2020

<u>في الرواية</u>

السيدة كُركُم، رواية، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2019

<u>في الترجمة</u>

– همسات من البحر الآخر، باللغتين العربية والإيطالية (ترجمة لمجموعة من الشعراء العرب)، كليبسيدرا، إيطاليا، 2009

– أربعون قصيدة عن الحرف، (ترجمة / ديوان أديب كمال الدين)، نووفا إيبسا إيديتوره، إيطاليا، 2011

. فجر العصافير الطليقة، (ترجمة / مجموعة قصصية لنضال حمد)، دار صفصاف، النرويج، 2013 .

– عشق سرّي؛ (ترجمة / رواية ريتانّيا أرميني)، دار نينوى للنشر والتوزيع، سوريا، 2017
– السلام أعمق من البحار، (ترجمة / ديوان صبري يوسف)، دار آريانّيا للنشر والتوزيع، إيطاليا 2017

– نشيد المقبرة، (ترجمة / ديوان أنس الفيلالي)، دار إيديليفر، باريس، 2016؛
– من مذكرات طفل الحرب (ترجمة / ديوان وفاء عبد الرزاق)، دار أريانّيا للنشر والتوزيع، إيطاليا، 2016

– ترجمتُ لكَ، ج 1 و ج 2، موسوعة في الترجمة الأدبيّة من وإلى اللغتين العربية والإيطالية، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2018

- ترجمتُ لكَ، ج 3 وج 4، موسوعة في التّرجمة الأدبيّة من وإلى اللّغتيْن العربية والإيطاليّة، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق 2019

- ترجمتُ لكَ، ج 5 وج 6، (40 شاعرا من العراق / 60 شاعرا من العالم)، موسوعة في التّرجمة الأدبيّة من وإلى اللّغتيْن العربية والإيطاليّة، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2019

. نفس أمارة بالعشق (ترجمة/ نص قصصي) لسناء شعلان

<u>في النقد</u>

- شجرة التّنين والأفعى، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2020؛

الفيوضات الصقليّة في تجربة سعد الشلاه الأدبيّة والعرفانيّة، (ضمن سلسلة كواكب على درب التبانة / الجزء الثاني)، دار الفرات للثقافة والإعلام، 2019؛

- قراءات من ذاكرة الحرف (مقاربات نقديّة)، دار غيداء، الأردن، 2019؛

- كواكب على درب التبانة (مقاربات نقدية) الجُزء الأول، دار الفرات للثقافة والإعلام، 2018؛

- حكايةُ القلبِ الرّائي والذّاكرة المُشتعلة: قراءات في مسارات ومحطّات التاريخ عند الدكتور عبد الرضا عوض، (كتاب نقديّ)، دار الفرات للثقافة والإعلام، 2017؛

- الأمانةُ العظمى في الدّفاع عن تراث وتاريخ الأمم: المُحقِّقُ علي عبد الرضا أنموذجا (كتاب نقديّ)، منشورات العصرية للطباعة والإعلان، العراق 2016؛

- تجليّات الجمال والعشق عند أديب كمال الدين، (كتاب نقديّ)، منشورات ضفاف، لبنان، بيروت، 2013

<u>في أدب الحوار</u>

– رحلة المئة سؤال وجواب (الجزء الأوّل)، حوار أجراه من ستوكهولم صبري يوسف، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2018

-- رحلة السلام الرّوحي من الفحم إلى الألماس : رحلة المئة سؤال وجواب (الجزء الثاني): حوار أجراه من ستوكهولم صبري يوسف، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2019

مشاركات في إصدارات وأنطولوجيات:

ـ "صقلّيات" للكاتبة الإيطالية "مارينلاّ فيومه"، وهو معجم خاص بسير ذاتية لـ 333 امرأة من أهم نساء صقلية وقد ساهمت فيه أسماء غريب بدراستها باللغة الإيطالية حول الأديبة الصقلية الراحلة "آنيي ميسّبينا" والتي كانت تُقيم بمصر وتُصدر قصصها فيها باسم "جميلة غالي". صدر هذا المعجم عن دار النشر الإيطالية، إيمانويله روميو سنة 2005

ـ "حكايات الهواء، التراب، الماء والنار"، للكاتبتين الإيطاليّتين "سيلفانا فيرناندس" و"إيليونوراه كيافيتّا"، دار روبّتّينو، إيطاليا، 2007 (وهو الكتاب الّذي ساهمت فيه الأديبة بترجمة الجزء الخاص بالمساهمات العربية لأديبات من مناطق مختلفة من العالم العربي)

ـ "رؤى نقدية في شعر حسن حجازي"، دار أنهار، الإمارات العربية المتحدة، 2013، وقد شاركت فيه أسماء غريب بدراسة نقدية تحت عنوان: شموع وأبيات تضيء مسيرة الشاعر حسن حجازي

ـ "شمعدان النجم"، قصيدة شاركت بها في أنطولوجيا الشعر العربي، التي أعدّها الشاعر والروائي منير مزيد

ـ "وجهان وامرأة واحدة"، نصّ قصصي شاركت به في أنطولوجيا القصة المغربية القصيرة وكانت من إعداد الكاتب والقاص سعيد بوكرامي

ـ "نساء حكيمات"، دار أريانا للنشر والتوزيع، إيطاليا، آذار 2015 ترجمات إلى اللغة الإيطالية والعربيّة

ـ "من مذكرات طفل الحرب"، للشاعرة العراقية د. وفاء عبد الرزاق

ـ "نشيد المقبرة" للشاعر والمبدع المغربي أنس الفيلالي

ـ "مدائن يسكنها البحر" (ديوان شعري) للشاعر والدكتور المغربي محمد نجيب زغلول

ـ "الضفة المعاكسة" للشاعر الإيطالي فابيانو ألبورغيتّي (ديوان شعري يتحدث عن تجربة وويلات ومحن الهجرة السرية إلى إيطاليا)

ـ "العودة حق: من شباب فلسطين إلى شباب العالم"، والكتاب هو عبارة عن مجموعة من القصص الفائزة في مسابقة القصة القصيرة لعام 2011 التي أقامتها "جمعية القلم الخيرية" بالمخيمات الفلسطينية في سوريا

ـ "سيرة الطائر الوحشي" (ديوان شعري) للشاعر العراقي خالد خشان

ـ "همسات من البحر الآخر"، وهي ترجمة لـ 14 نص شعري لنخبة مختارة من شعراء مجلة نوستالجيا

ـ "طينجيتانوس" للفنان والكاتب المسرحي المغربي الزبير بن بوشتى

ـ "تحت سماء دافئة"، (مجموعة قصصية)، للكاتب والمترجم التونسي: إبراهيم درغوثي

ـ "أقدام بيضاء"، (عمل مسرحي) للكاتب المسرحي المغربي الزبير بن بوشتى.

ـ "مدارات الكلمة"، مريم نجمة، سوريا/ هولندا.

حوارات واستطلاعات صحفية:

- بن رحمون عبد الحق، أسماء غريب تتحدث للزمان عن منابع المعرفة، جريدة الزمان الدولية، عدد 3349 / 18/07/2009

- ندى ضمرة، حوار مع الشاعرة المغربية أسماء غريب، العرب اليوم، 2010؛
- محمد الكلاف، حوار المبدعات، مجلة روافد عدد 20/2011؛
- بن رحمون عبد الحق، لا ندم في طريق القصائد، جريدة الزمان الدولية، عدد 29 أيلول 2012؛

- منى ظاهر و أوس داوود يعقوب، الحصاد الثقافي 2013: أين توارى الكاتب العربي في عاصفة التحولات؟ جريدة العرب، عدد 9425، 31/12/2013؛

– القلب، أرض الإنسان وبيته الحق، حاورها الأديب المسرحي ميثم السعدي، مجلة نسائم الأسترالية، (آب 2014)

– الدكتورة أسماء غريب: الأديبة المغربية التي تغنت شعراً بحب الحسين (ع)/ إنسانة أبدعت فتعددت مواهبها (خاص بوكالة عشتار الإخبارية/ العراق/ حاورها رئيس التحرير فرج الخزاعي)

– الدكتورة أسماء غريب في حوار عن الشعر والنقد والتصوف والترجمة، حاورها من الجزائر وليد شموري، (مجلة الشاهد / عدد 22 تشرين الثاني 2014)؛

– عن السّلام العالميّ، حوار مع الأديبة د. أسماء غريب، حاورها رئيس تحرير مجلة السلام المبدع والفنان التشكيلي صبري يوسف (سوريا/ ستوكهولم)، (مجلة السلام/ العدد الثاني 2014)؛

– عن الأدب والحداثة في المغرب، حوار مع د. أسماء غريب، (جريدة لوسفويّتّينو)، 2015

. حصريا على كاسل جورنال، حوار مع الأديبة المغربية الدكتورة أسماء غريب بمناسبة اختيارها حكما ضمن لجنة التحكيم في مسابقة مهد الحضارات للقصة القصيرة والقصة الومضة، جريدة كاسل جورنال، الولايات المتحدة الأمريكية (أيلول 2014)

دراسات نقدية ومقالات متفرّقة:

ـ إنسانُ السَّلام: مَنْ هُوَ وكيفَ يَتكوّن؟ / تجربة صبري يوسف الإبداعيّة أنموذجاً : مجلة السلام، ستوكهولم 2015 ص 559/583

ـ حملة العرش في الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث نموذجا للبحث والدراسة

ـ العمل وتجليلته اليعقوبية في سرديات سعد الشلاه

ـ إشكالية التحوّل والتطوّر، ونظرية القرارِ المكين في (سبع عيون)، قصيدة سعد الشلاه الجديدة

ـ البناء الزمكاني والهمّ الاجتماعي والسياسي في (أيام غير أليفة): من النظرية إلى التطبيق (دراسة نقدية في مجموعة نوال هادي الجبوري القصصية الجديدة)

ــ من مذكرات طفل الحرب بين مطرقة الترجمة وسندان النقد: (دراسة نقدية خاصة بديوان ((من مذكرات طفل الحرب)) للمبدعة العراقية د. وفاء عبد الرزاق، ط 1، دار نعمان للثقافة، لبنان،2008/ ط 2 وط 3، دار كلمة، مصر، 2009/ 2010.

ــ شجرة الماءِ بيْن ومْضةِ الشّعْرِ وسُؤالِ التّيهِ في ديوان "أغنية الشتاء" لأحمد محمد رمضان

ــ يُوسفيّاتُ سَعْد الشَّلَاه بينَ الأدَبِ والأنثرُوبُولوجْيا؛ قراءة نقدية لديوان الشاعر سعد الشلاه، (كفّ أمّي)، المركز الثقافي للطباعة والنشر، بابل، طبعة أولى، 2014

ــ إشكالية النص القرآني بين المناهج النقدية ومعايير التفسير والتأويل، قراءة في كتاب أسامة غالي الموسوم (النص القرآني بين معيارية الموروث ومناهج النقد المعاصر)

ــ ذكرى حرب أكتوبر في مسابقة مهد الحضارات، مقاربة تاريخية ونقدية؛

ــ مرآة الحرف بين سريالية النوم وفجأة اليقظة، كاسل جورنال، عدد 13 أكتوبر 2014

ــ مسابقة مهد الحضارات وذكرى حرب 06 أكتوبر 1973بين مطرقة التدقيق التاريخي وسنديان التحليل والمقاربة النقدية؛ ــ "العبودية والرّق بين الماضي والحاضر"، عن جامعة الدّراسات والأبحاث، فرع كلّية العلوم السياسية/ قسم الدراسات التاريخية باللغة الإيطالية

ــ "قمر الفرجار وقواربه" (مقاربة نقدية) حول ديوان "قمر أم حيّة إسبرين"، للشاعر الفلسطيني محمّد حلمي الرّيشة، نُشرت بجريدة الأيام الجزائرية، الأربعاء 27 نيسان 2011

ــ قراءة في ديوان "للأزهار رائحة الحزن" للشاعر المغربي إبراهيم القهوايجي

ــ ثنائيّة الغربة والوجد في ديوان خريف طفله للشّاعرة عواطف عبد اللطيف.

ــ "النّوتي المبحر نحو ثدي الكون"، دراسة عن ديوان "لا أدري إلى أين يأخذني هذا الأفق؟" للشاعر الإيراني حمزة كوتي

ــ "الإمبراطورة والشاعر"، دراسة خاصّة بديوان الشاعر أديب كمال الدين "أربعون قصيدة عن الحرف"

ــ إشارات الألوان: قراءة في ديوان "الحرف والغراب" لأديب كمال الدين

ــ الرّوح القدس أو اليد العالمة في أشعار أديب كمال الدين

ـ عندما ينتصر الشعر قراءة في ديوان "التي في خاطري" للشاعر المصري حسن حجازي

ـ أبروتسو قلب إيطالي ينبض بالفن والفكر والجمال

ـ غوص في بحار الجسد والرّوح

ـ الواقعيّة في الأدب الإيطالي

ـ أبناء الشمس والصّفصاف بين التاريخ والأدب: لمحات من الأدب الكردي.

. القصيدة ـ الأنثى عند الشاعرة ساناز داود زاده فر : قراءة في ديوانها (أمشي على حروف ميتة) . مجلة الكاردينيا بتاريخ 2/1/2018

كتابات ومقالات نقدية عنها

ـ نزار ب. الزين، عودي إليّ ياحنين، رواية من ثلاثة أجزاء للأديبة المغربية أسماء غريب، جريدة الرأي، عدد 17/10/2006،

ـ فاطمة ناعوت، قصص للمغربية أسماء غريب، أولئك الذين لا يعودون من خيبة أحلامهم، جريدة الحياة، 2008، عدد 16434؛

ـ صالح الطائي، الدكتورة أسماء غريب وتجليات أديب كمال الدين، [قراءة في كتاب (تجلّيات الجمال والعشق عند أديب كمال الدين) تأليف الدكتورة أسماء غريب، دار ضفاف للنشر، بيروت، 2013]، مجلة سطور، عدد 30 تمّوز، 2013؛

ـ إسماعيل إبراهيم عبد، قراءة في كتاب: تجلّيات الجمال والعشق عند أديب كمال الدين للدكتورة أسماء غريب، جمـــال العشـــق وتجليلـــتُه الصوفيـــة، جريدة آي ثقافة، عدد 17 كانون الأول 2013

ـ أسامة غالي، سيميولوجية العنوان ومعاقد النص في شعر أسماء غريب، قراءة أولى، جريدة دنيا الرأي، عدد، 28/10/2013

ـ أسامة غالي، سفر الذات في شعر أديب كمال الدين وتداعيات البحث عن المعنى الجمالي، صحيفة المثقف، العدد: 2896 الأحد 10 – 08 – 2013

. أسامة غالي : تجليات الفكر الصوفي في ديوان (99 قصيدة عنك) لأسماء غريب

ــ صباح الأنباري، قراءة في قصيدة الشاعرة د. أسماء غريب (إليكَ شمسي في عيد العشاق)، جريدة بصرياثا، عدد 25 شباط 2014

ــ د. عبد الناصر عيسوي، ((ضرورة الحياة الروحية للإنسان المعاصر/ أسماء غريب في مقام الخمس عشرة سجدة)، مجلة "الإذاعة والتلفزيون" عدد السبت 3 أيار 2014/ ركن إبداعات؛

ــ حيدر علي سلامة، نحو مادية شعرية في قصيدة (ليالي زفافنا السّبْع) للدكتورة أسماء غريب في طقوس الجسد المقدس/ وشعرية النص المُتخَيّل؛ مجلة بصرياثا، عدد 01 نيسان 2014

ــ علوان السّلمان، سيميائية الألوان في (سبع قبل) للشاعرة د. أسماء غريب، مجلة معارج الفكر، 21 أيّار 2014

ــ غسان العبيدي، البعد البؤري، قراءة في قصيدة (السمكة والصياد) للدكتورة أسماء غريب، صحيفة الديار اللندنية،27 حزيران، 2015

ــ د. عواد الغزي: اللغة الثملة والفلسفة المقدسة في قصيدة (حانة العشاق) للشاعرة أسماء غريب

. د. عواد الغزي: السوسيولوجيا العقائدية ومركزية الصوت في قصيدة (جرس) للدكتورة أسماء غريب

. د فاضل عبود التميمي : الحضور الصوفي في (مقام الخمس عشرة سجدة) للشاعرة أسماء غريب . جريدة العالم البغدادية بتاريخ 31 /12/2013

. الأب يوسف جزراوي : راهبة الكلمة : د أسماء غريب كاتبة مقروءة . تقديم ديوان مشكاة اخناتون

. د كريم حميد الدراجي : كشوفات السيدة كركم من النقطة إلى الكواكب والنجوم : تقديم رواية السيدة كركم

ــ كاظم اللامي، قراءة في كتاب (ميثم السعدي وثنائية العرض المسرحي) تأليف الأديبة د. أسماء غريب.

. نوال هادي حسن (العراق) : المرأة ومحاكمة التاريخ بعين الروح في قصيدة (نفر آتون) للشاعرة الناقدة د أسماء غريب

. صبري يوسف (سورية / السويد) :الشاعرة أسماء غريب مشبعة بإشراقة وهج الروح : مقدمة لديوان (99 قصيدة عنك)

. صبري يوسف : كيفية انبعاث تدفقات الشعر : إلى الصديقة الراقية الأديبة المبدعة أسماء غريب

. صبري يوسف : تجليات من وهج الانبهار، دار صبري يوسف، السويد 2016

. صبري يوسف : رحلة طيبة في تجليات أسماء غريب : قراءة وانطباع وتحليل . دار النشر صبري يوسف استوكهولم / السويد 2020

. سعيد البهالي : أسماء غريب من آسفي : شاعرة وناقدة وعارفة بالله (الكتاب بين يديك) آسفي / المغرب 2020

مدينتي العارفة بالله

د. أســـــــــــــــــــــــــــــــماء غريـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــب

(1)

أسيف

أسيف هو الإسم الأمازيغي القديم للمدينة التي رأيتُ فيها النّور، ويعني الوادي أو النهر. واستناداً إلى النظرية التي تقول بأنّ وجود الأنهار في منطقة جغرافية ما غالبا ما يكونُ السّببَ الحقيقيّ لنشأة وظهور المدن، فإنّ أسيف نَشأتْ على ضفاف نهر عظيم اسمه (الشّعبة)؛ وشَعَبَ الشيءَ في اللغة العربية يعْني جَمَعَهُ ثُمّ فَرّقَه، وشَعْب النّهر، تفرقتْ منهُ

المياه، أمّا الشِّعبُ فهُو مسيل الماء في بطن الأرض، وهي كلّها دلالات لغوية كافية لاستنتاج المعنى الحقيقي لِإسم هذه المدينة، صاحبةَ النهر الذي يتشعّبُ منه الماءُ ويتفرّق. وكيف لا تكون كذلك وقد كان نهر الشّعبة كلما حَبلَ سريرُهُ بالمطر الغزير، هاج وفاض ماؤه ودخل إلى جنـــــــــان وحقـــــــــول المـــــــــدن المجـــــــــاورة(1)

وأسيف هي من مدن العالم العريقة جدا، وقد ذكرها عالم الفلك اليونانيّ بطليموس في كتابه الجغرافيا بِاِسْم (تائسفه)، وهي مدينة فينيقية، أسَّسَها الملكُ والقائد العسكري حانون الذي جاء إلى المغرب بأسطوله العسكري بنحو 1500 سنة قبل الميلاد، وقد كانتْ في عهد هذا القائد ذات عمارة، تأتيها السفن التجارية من كلّ صوب وحدب (2)، وتنقسمُ اليوم إلى ثلاثة أقسام: المدينة المسوّرة بالسّور البرتغالي، ورباطُ الشيخ أبي محمد صالح الماكري، أمّا القسمُ الثالث فَهُو الذي ظهر بعد أن اتسع العمران وامتدّتِ الدّور والبنايات، وهُو على ثلاث جهات: الجهة الأولى وتوجدُ بجنوب رباط المدينة، والجهة الثانية وتسمّى بالمدينة الجديدة، أمّا الجهة الثالثة فتوجد في الشمال، وقد امتدّ فيها العمرانُ إلى أن أصبحتْ أشبه بمدينة أخرى في قلب المدينة الأُمّ.

مدينتي الحبيبة اليوم تُسمّى بآسفي، وهي اللُّطف الخفيّ والجناب الحفي، والوعدُ الوفيّ، وهي الدّماثة والجمال، والصّبر والاحتمال، والزّهد والمال، قليلة الأحزان، صابرة على الاختزان، وافية المكيال والميزان، رافعة اللواء بصحة الهواء. بلد موصوف برفيع ثياب الصّوف، و به تربة الشيخ أبي محمد صالح (3) أجل، هو هذا الشيخ الوليّ الذي كانت تحملني أمّي إلى ضريحه (4) في طفولتي البعيدة كلّ ليلة قَدْرٍ، وأصبحتُ أذهبُ إليه حينما كبرتُ كلّما اشتعل بقلبي الحنينُ إلى ذكريات الطفولة، وإلى تلك الليالي القَدْريّة المُضمخة بنفحات الذاكرين المسبّحين

المحوقلين وهُم يرتلون القرآن الكريم (5) ويقرؤون إلى الفجرِ دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبيّ المُختار(6).

وكانت آسفي إبّان المرابطين مركزا خاصا بتجميع قوافل الذهب الإفريقي الذي كان يُنقل عبر السفن إلى الأندلس لسك النقود هناك، كما أنّ ميناءها كان ولم يزل من أهمّ موانئ المغرب لتصدير الحبوب والسكّر والصوف، وقد أقام بها سلاطين المملكة ما بين 1716 و 1830 م، دارا لسكّ النقود ومعالجة الذهب والفضة، كانت متواجدة بالمكان الذي يوجدُ به اليوم ضريح سيدي أبو الذهب (7). وقد كان القرن الثامن عشر فترة ازدهار وتنافس كبير بين الأوربيين على ساحل ومرسى آسفي، وخاصة بين فرنسا وبريطانيا، والدنمارك التي نجحت في عقد اتفاقية مع السلطان المولى عبد الله سنة 1715 تحتكرُ بموجبها التجارة في ميناء المدينة لمدة ثماني سنوات. وقد ظلت آسفي محتفظة بنشاطها التجاري خلال حكم السلطان محمد بن عبد الله الذي اعتمد في مداخيلها المالية على الإيرادات الجمركية، فقام بتحصين المدينة مزودا إياها بعددٍ كبير من البحارة والمدفعيات العسكرية. وظلت النقودُ تُضرب بدار الذهب هناك طوال حكمه، وبعد وفاته اتخذ ابنه المولى هشام مدينة آسفي عاصمة له بعد انتقاله من مدينة مراكش ما بين سنة 1794 و 1797م

(2)

بحر مُشمسٌ وسماء قمراء

مُذْ طفولتي، كانت مدينتي وَلَمْ تَزَلْ تخطفُ بَصَري ببحرِها المُشمس الصّافي، وسمائها القمراء ذات النجوم السّاحرة. والجميلُ في كلّ هذا أنني كنتُ أعرفُ منْ تكونُ شموسُ مُحيطها الأطلسيّ، ونجوم سمائِها كذلك، وإن أهمَلهَا التاريخ وجارتْ عليْهَا يدُ النسيان، وغفلتْ عنها الدراسات والبحوث الأكاديمية. أمّا الشموسُ فأعني بها أولياء الله الصالحين وأتقياءه من أهل الزهد والتصوف الذين أثروا الدنيا بعِلْمهِم وعَمَلِهِم وفاضوا بوهج النور وعطر الحروف على الأرض، مِنْ مشارقها إلى مغاربها. وأمّا النجومُ فهي أسماء عُلماء آسفي الكبار الذين وهبوا حياتهم لشتى العلوم كالرياضيات والميقات والطبّ والفقه والقضاء وغيرها من العلوم الأخرى. ولَمْ أكُ لأعرفهم لولا نُزهاتي الطفولية البسيطة التي كانت تحملُني من حين لآخر إلى المدينة القديمة، وإلى رباطِ الخير.

ففي المدينة القديمة كُنتُ أبقى مشدوهة أمامَ هذا العددِ المُدهش من أفران الطّين التي تُصنَع فيها أواني الفخار والخزف ذات الشهرة العالمية، وأمامَ تلكَ الدّكاكين الزَّرقاء الصغيرة المرصوصة الواحدة تلوَ الأخرى كأحجارٍ مِنَ الفيروز الكريم في تناسقٍ وتناغم عجيبيْن، والتي كانَ مُعظمُها في الأمس البعيد، زمنَ الحُكْمَيْنِ المُوَحّدِي والسَّعْدِي، وفي بداياتِ العهْدِ العلويّ مِلْكاً لرجال العلم الذين كانوا يتطوعون بالتدريس في مساجد المدينة وفي الوقت ذاته يمتهنون التجارة أو الفلاحة للتعيّش منهما (8)

أمّا في رباط الخير (9)، فإنني كنتُ أشعر دائماً بهذا الوصل والتّواصل الجميل بين زمنيْن يبحثُ أحدُهما عن الآخر بشغفٍ وعشق قلّ نظيره؛ حاضرٌ عن ماضٍ، وأبناءٌ معاصرون عن أسماء من ذاكرةٍ عِلميّة رحَل أصحابُهَا وتركُوا العديدَ من الكتب القيّمة التي تشهد للمدينة بعُمق ورقيّ حضارتها وحضارة المغربِ كافّة؛ كأمثال الشيخ الإمام أبي محمد صالح الماكري المتوفي سنة

631، وتلميذه العلّامة الأصولي النحوي أبي الحسن علي بن مسعود الرجراجي مؤلف (مناهج التحصيل فيما للأئمة على المدونة من التأويل)، والإمام الفقيه أبي عبد الله بن شعيب الدكالي نزيل تونس، والفقيه محمد أمغار الكبير وأولاده الشيوخ الذين سارتْ بذكرهم الركبان وصارت زاوية تيط مركزَهم العلمي، والفقيه الفلكي أبي الطيب عبد الله بن ساسي الآسفي صاحب كتاب (الكوكب اللامع في العمل بدوائر المطالع)، وابنه الفقيه الميقاتي، الطيّب بن عبد الله بن ساسي مؤلف كتاب (رياض الأزهار في علم وقت الليل والنهار)، وأبي حفص عمر بن مبارك الزبدة صاحب كتاب (الكوكب الساني في النسب الكتاني)، ثمّ أحمد بن علي الصويري الآسفي،شارح قصيدتي (الهمزية والبردة)، دون نسيان ذكر الأديب التهامي الفاروقي صاحب كتاب (الأقمار في مناقب الأخيار) وشارح قصيدة (بانت سعاد)، ومحمد بن أحمد التريكي صاحب كتاب (إرشاد النبيه إلى معاني التنبيه). ولا يمكن الحديث عن العلم والعلماء ونجوم آسفي وكواكب سمائها القمراء دون ذكر ما كان للزّوايا من دور فعّال في إثراء الحضارة الثقافية والعلمية والسياسية للمدينة على مرّ العصور، بدءا من الزاوية الماجرية، ومؤسسُها هو الشيخ أبو محمد صالح الماجري الآسفي (1115 / 1234) ويعتبر أوّل من حاول في المغرب الخروج بالنشاط الصوفي من المجال الفرديّ الضيق إلى مجال جماعيّ أوسع(10)، مرورا بالزاوية الجزولية التي أسّسها الشيخ والإمام محمد بن سليمان الجزولي على شاطئ أموني قرب رباطِ الشيخ أبي محمد صالح، وفيها أعلن عنْ طريقه الصوفي ليقصده أثناء حياته أزيدَ من اثني عشر ألف من الأصحاب(11)، ووصولا إلى الزاوية الغنيمية ومؤسسُها ببادية آسفي هو الحسن بن رحّو، وعنها تفرّعتْ عدة فروع أخرى في دُكّالة والشّاوية وسطّات وأولاد سعيد وابن سليمان وغيرها من مناطق المغرب (12).

(3)

شجرةُ الشّعرِ

آسفي أو حاضرة البحر المحيط كما نعتها ابن خلدون في مقدمته (13)، هِيَ البئْرُ التي شربتُ مِنْهَا حرفَ العشق والمحبّة، ليس فقط لأنّها كانتْ ولمْ تزلْ مُعلّمي الأول، وإنّما لأنّها صورةٌ مُصغّرة لبلدي المغرب الحبيب؛ هذا الأبُ الحنون، والأمُّ العطوف الرؤوم التي رضعتُ مِنْ ثديها كيْفَ أكونُ مؤمنة قبْلَ أن أكونَ عابدة، وكيْفَ تكون لغتي لغةَ سماء ملكوتيّة قبْل أن تكونَ لغةَ أرضٍ ناسوتية، وكيْف يكونُ حَرْفِي حُرّاً ناطقاً بشهادة الإسلام، ومُرتّلاً للقرآن الكريم وحافظاً لأدعية السجّاد وابنِ ناصر الدّرْعيّ، وعارفا بالصلاة الربّيّة، وباحثاً في البذور والمواعيد، وكيفَ تكونُ كتاباتي يمامةً تُرفرف في مجرّةٍ لبنيّة يتزاوج فيهَا المئزرُ بالسُّها، ويتعانقُ فيها محمّد بداوود ويسوع، وهُدهُداً يروي حكايةَ حاضرةٍ تحتضنُ لليوم أكبر كاتدرائية مسيحية في المغرب هي الكاتدرائية البرتغالية (14) ثم عددا من الكنائس التي تُعَدُّ على رؤوس الأصابع ككنيسة سان فنسان دي بول (Saint Vincent De Paul)، وكنيسة سيدة جبل الكرمل (Notre Dame du Mont-Carmel) التي أصبحتِ اليومَ مقرّا للجمعية المغربية للأطفال الصّمّ، ناهيكَ عن المقبرة الكاثوليكية التي لا يمكنُ أن تُمحى آثارها من ذاكرتي، سيَمَا وأنّ قدمَيّ كانتا كثيرا ما تحملاني إليها، لأنّها كانتْ توجد على بُعد مسافة قصيرةٍ منْ بيتنا الذي كنّا نقطن فيه سابقا أثناء بدايات العشرينيات من عمري، حتّى أنني لم أزل أحملُ لليوم أسماء الأموات المسيحيين في قلبي، وصُوَر قبورهم المغطاة بالحشائش والزهور. هذا دُون التغاضي عنِ الإشارة إلى وُجود أكبر مَشهد عِبْريّ بآسفي، هُو مقام أبناء زميرو السّبعة (15) ولم تكن وحدها دروس التسامح التوحيديّ العظيم التي كانت تُلقّنُني إياها مدينتي العارفة بالله في كلّ يوم وحين، وإنّما فيها تعلّمتُ أيضاً كيْفَ تكونُ قصيدتي نحلةً تتّخِذُ مِنْ شجرةِ الشِّعْرِ

بيتاً تكونُ فيهِ الحروفُ بلابل عدنيّة تشدو بأحلى التّرانيم، والكلماتُ صوتاً لا مرئيّاً يتحرّكُ ويتمدّدُ إلى أنْ يلامسَ أبعدَ نقطةٍ في المدى الواسعِ، ويُصبحَ هديّةَ عيدٍ هي روحٌ تخترقُ المكانَ والزمان لتدْخلَ عوالمَ اللافضاء واللازمان. وهديّةَ فجرٍ قُطبيّ هي صورةٌ تنعكِسُ فوق مرآةِ القصيدة ولا يستطيعُ أحدٌ أنْ يُمْسِكَ بها أو يَلمسَها لأنّها قادمةٌ من الفردوس الملكوتي البهيّ. وهديّةَ ليلةٍ قمراء هيَ تجلٍّ صوتيّ لفِعْلٍ سَمْعيٍّ يصدُرُ عنْ فكرٍ خلّاق بسرّ: ((قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)) (16) .

من مقدّمة ديوان (99 قصيدة عنكَ)، دار الفرات للثقافة والإعلام، ط2، العراق، 2016.

الهوامش:

(1) محمد ابن أحمد العبدي الكانوني، علائق آسفي ومنطقتها بملوك المغرب، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، 2004، ص 142

(2) محمد ابن أحمد العبدي الكانوني، آسفي وما إليه، قديما وحديثا، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، 2005، ص 77

(3) لسان الدين بن الخطيب السلماني الغرناطي، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق ودراسة د محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، ص 160/161

(4) وقد جاء ذكره في نصّ ((فيثاغورس والقنفذ)): [وزادتْ من عطشي جُموع الأطفال المُجنّحين / وهم يغمسونَ أيديهم في أنهار الحناء / ثم يضعونها بصمة خماسية / على جدرانِ محاريب فاطمة ومريم]، ذلك أنني كنتُ كلّما دخلتُ إلى الضريح كُلّ ليلة قَدْر وجدتُ الأطفال مثلي وهم بثيابِ الفرح والعيد يغمسون أيديهم الصغيرة في إناء كبير من سائل الحناء ثم يضعونها بصمة خماسية فوق جدران مصبوغ بالجير النّاصع البياض، وكانت تلك الصورة تُحرّك بداخلي مشاعر عظيمة من البهجة والانتعاش، فقد كانت تختلط رائحة الحناء برائحة البخور والمسك وبعطور الأطفال، مضفيةً على كلّ المكان جوا روحانيا ليس له مثيل.

(5) وهم نفسهم الذاكرون المحوقلون المستغفرون، أهل التقوى والفلاح من أبناء الزوايا الناصرية والماكرية والتيجانية والجزولية بمدينة آسفي، الذين أتى ذكرهم بالإشارة في قصيدة (ليالي زفافنا السّبع / ليلة الحانة)، وذلك لحضورهم لإحياء يومِ زفافي بالذكر وتلاوة القرآن، من الثلث الثاني من اللّيل وحتّى بزوغ أولى خيوط فجر اليوم الثاني من العُرسِ.

(6) انظر مطلع قصيدة ((فيثاغورس والقنفذ))، وفيها إشارة لأبي سليمان الجزولي مؤلف دلائل الخيرات و[صاحب القبّعة الحمراء وقاهر جيوش الدخلاء .

(7) مازال تاريخ هذا الولي يكتنفه الغموض واللبس الشديد، فلا أحد من المؤرخين يعرف لليوم قصته الحقيقية ولا أصله ولا كيف قدم إلى آسفي، فهذا العلامة أحمد بن ابراهيم بنهيمة، يذكر أن البحث فيه قد أضناه، فما وقف على بيان نسبه، ولا بيان الوقت الذي كان فيه، ولا وجد مع من يتذاكر معه بشأنه. والشيء نفسه يقوله الفقيه الكانوني، وذلك من منطلق بحث ميداني، أجراه بموقع الضريح، يفيد فيه بأن مكانه كان في زمانه محلا مقببا، تشغله سقاية يقصدها الناس للتزود بالماء، كانت قد أمرت سلطات الحماية بهدمها سنة 1919 فصادف أن وقع بعض العمال عند محاولتهم نقض سقف الضريح، فشاع بين الناس أن ذلك كان من كرامة صاحب الضريح، فأمرت سلطة الاستعمار بوقف أعمال الهدم، تجنبا لمزيد من اللغط.

(8) كريدية إبراهيم، شذرات من تاريخ المسجد الأعظم بآسفي، جمعية آسفي للبحث في التراث الديني والتاريخي والفنّي، دار وليلي للطباعة والنشر، مراكش، الطبعة الأولى، 2005، ص 10.

(9) نسبة إلى رباط الشيخ أبي محمد صالح الماكري، والذي في عهده سُوّرت مدينة آسفي بسور متين وغدت مركزا علميا كبيرا، وقد كان له السبق في تأسيس التصوف الجماعي مكونا طائفة عرفت بـ (الطائفة الماكرية)، وقد سنّ لها طريقا صوفيا يعتمد (التوكل)، وهو طريق لم يشتهر به أحد غيره في عصره بالمغرب.

(10) أحمد بن إبراهيم، المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، تحقيق السعيدي عبد السلام، بحث مرقون قدمه صاحبه لنيل دبلوم الدراسات العليا، تحت إشراف الأستاذ محمد زنيبر، بكلية الآداب التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط سنة 1992 ــ 1993، ص 92.

(11) محمد ابن أحمد العبدي الكانوني، آسفي وما إليه، قديما وحديثا، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، 2005، ص 77.

(12) كريدية إبراهيم، زوايا الشرفاء بآسفي وباديتها، تقديم الدكتور محمد ظريف، ط 1، 2006 عن

مطبعة (I.M.B.H) / ط 2، 2012، مؤسسة الديوان للطبع والنشر / ط 3، أبريل 2013، مطبعة صفي غراف. ص. 12.

(13) محمد ابن أحمد العبدي الكانوني، آسفي وما إليه، قديما وحديثا، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، 2005، ص 80.

(14) وقد توقّفَ عندها كثيرا المؤرّخ البرتغالي بيدرو دياش في كتابه (البرتغاليون في المغرب عمارة وعمران)، وقال عنها إنّها أُسّست سنة 1519 م على أنقاض مسجد مدينة آسفي الكبير. ولها شكل مستطيل ذو أضلع تختلف عن بعضها البعض قليلا، ويبلغ طولها 8.20 أمتارا، وعرضها 7.20 أمتارا، وهذه قياسات أنجزها ميدانيا المؤرخ بيدرو دياش بنفسه. أمّا فرجة قوس المصلى الرئيس فتبلغ 6.20 من الأمتار، وقد جاء القبو على شكل نجمة بمتقاطعات تامة، ورباعيات ومضلعات تُشَكّل تسعة عقود، تحيط ثمانيةٌ منها بالتاسع الذي يتوسّطها. ويحملُ هذا العقد الأخير، وهو أكبر العقود، شعار الملك إيمانويل الأول. للمزيد من التفاصيل عن هذه المعلمة التاريخية يُرجى تصفّح: (Dias Pedro, Arquitectura dos portugueses em Marroccos, 1415-1769, Coimbra, Livraria Minerva (Editora, 200

(15) للمزيد من المعلومات عن تاريخ الأقليات العبرية في المغرب يرجى الاطلاع على؛ أحمد شحلان، التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي، التسامح الحق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2006.

(16) سورة آل عمران: الآية 47

آسفي وإبراهيم كريدية: حكاية عشق صوفيّ :بين التّأريخ والأدب

د. أسماء غريب

حينما نزلتُ قَبْلَ عشرين عاماً من الطّائرة التي أقلتني لأوّل مرّة مِن المغرب إلى إيطاليا، ما كان في حقيبتي شيءٌ سوى المُحيطِ،حملتُهُ ثمَّ مضيتُ. لمْ أكن أعرف ذلك في البداية، لكنّ الأمرَ غدَا حقيقةً تأكّدتْ لي بشكل أكثرَ عُمْقاً على مرّ السّنين التي قضيتُها في الالتزام العلميّ والدّراسة الأكاديميّة بالجامعات الإيطاليّة المرموقة،ففي كلّ طريق كنتُ أمرُّ بها، وفي كلّ مكان كنتُ أجلس فيه، وفي كلّ مدينة كنتُ أزورها، ومع أيّ إنسانٍ كنتُ أقفُ، كان يصلني من أعماقي هديرُ الماء، وكنتُ أرى الأمواج تتحرّكُ بحركتي وتسكنُ بسكوني، وظللتُ على هذه الحالِ إلى أن أيقنتُ أنّني أنا نفسي المحيطُ، بل أنا نفسي مدينتي التي رأيتُ فيها النّور، أطلانتيس (1). ما من شكٍّ أنّه أمرٌ يفوق كلّ تصوّر وخيال، أن تشعُرَ أنّكَ أنت المحيط الأطلسيّ، ولا مكان يسعُكَ وإنما أنت وحدكَ كلّما حللتَ بمكان غمرتَهُ، وصرتَ أنتَ المرآة المائيّة التي فوقها ينعكس تاريخ الكون بأسره: يا إلهي كم من الأساطيل سترى غارقةً بداخلك؛ وكمْ من البحّارة الكشّافة، ومن أشرعة أهل المحبّة وسُفن التجّار والقراصنة، بل كم من الأنهار سترى آتية لزيارتكَ؛ النيل ودجلة والفرات تحملُ إليكَ كلّها ذهب المعنى وحرف الحقيقة ومدادَ السرّ الذي به تُنفَخُ الكاف والنّون فيتحقّقُ للخَلق الخروج من عالم الكمون إلى عالم الظّهور(2)، وكم سترى وترى من المدن والحضارات البائدة التي غمرتَها بمائك على مرّ العصور منذ

طوفانكَ المائيّ الأوّل إلى طوفان النّار الحاليّ. وقد يسألك سائل ويقول لك: من أين لكَ كلّ هذا أيّها المحيط الآسفيّ الأطلنتيّ؟ عندئذ لا جواب تردّ به سوى أن تقول: إنّك تزوّجتَ الفراغ، أيْ بنيتهُ بداخلك طابوقةً طابوقةً إلى أن تحقّق لك الخلاصُ من كلّ العوالق والأغيار، وأصبحتَ ترى بعين البصيرة تاريخَ مدينتكَ لا كما يراهُ الآخرون، ولكن كما يراهُ أهلُ الحقّ فيها، وهُم كُثُرٌ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، تجتمعُ بهم في الحضرة المحيطيّة وترى معهم تاريخَ الأرض بعينكَ الصّنوبريّة، لا بعين العقل المادّي القاصر عن الإحاطة بأسرار الكون (3) هذا التاريخ الذي خطّه بمداد المحبّة الكونيّة أقطاب بهم تفيض الخيرات، وتقفُ شؤون الدّين والدّنيا، يُعرفون بإكليل الخدمة فوق رؤوسهم،منهم الأولياءُ والصّلحاء والعرفاء، ومنهم رجال آخرين خدموا آسفي في السرّ والعلانية وقد كتبتُ عن بعضهم وأوْلَيْتُهُم عنايةً خاصّة (4)، وأخصّ بالذّكر منهم هنا مؤرّخ مدينة آسفي الأستاذ إبراهيم كريدية، لِما لمستُ فيه من عشق صوفيّ (5) لهذه المدينة ليس لأنه وُلد فيها، وإنّما لأنه مثلي ومثلَ كلّ مفكّري وأقطاب أطلانتيس مازال كالجنين العدنيّ متعلّقاً في رحمها بأثر الحرف الأول، والكتاب الأوّل والنون القمريّة الأولى، يسمعُ هسهسة القمح، وهديل الحمام فوق نهر الشّعبة الّذي حضنه ذات فجر وأراه ما في قلبه من كنوزٍ ومُلك عظيم، وكيف لا وقد تنسّمَ النّهرُ فيه عبيرَ الصّبي الذي يحبُّ مدينته ويعشق أزقّتها المضمّخة بعطر الحنّاء والبخور المتصاعد من البيوت العتيقة ومراقد الأولياء والأتقياء فيها، ويرى بقلبه الجنودَ القادمين من البحر والعابرين إلى الحروب يشعلون النّارَ فتبكي من بعدهم الأراملُ والثكالى، والشّعبة واقفاً فيّاضاً بالرّحمة يُجفّفُ دموعهنّ. وكيف لا نشاركُ هذا الإبراهيم عشقَ مدينته وخمرة المحبّين المشعشعة في صوت أبنائها وهُم يردّدون مع الحاج الصديق الحجازي الأسفي قصيدته (النّاشفة) التي أنشدها في مدح رسول الرّحمة محمد (ص) (6) ليتجلّى لنا بها كيف أحبّ آسفي الّتي قمّطتهُ بطين النّهر، ورشّت عليه حفظاً

له من كلّ شرّ وبأس ملحَ المحيط، وقالت لأمّه أنِ أشعلي له في محراب الرّوح قناديل الحرفِ ليتعلّم بها القراءة والكتابة ويستدل من خلالها على أسرارها بما فيها تلك التي تربطها بجغرافيات مدن وحضارات أخرى لا قِبَل لهُ بها. وذاك ما فعلتِ الأمّ حقّاً إذا لم تكتف بإيقاد أصابعها شمعاً لابنها البارّ، وإنّما جهزّتْ له تنّورَ المعنى وأطعمتهُ خبزَ الحكمة إلى أن أصبح يُحلّق بجناح الفكر في كلّ الأصقاع والآفاق يبحث عن تاريخ مدينته وعلاقاتها بالدول الأخرى. وما كنتُ أتوقّع أنه يوماً سيكتبُ حتّى عن علاقاتها بإيطاليا، إلى أن وصلني منه جديد إصداراته (7) بعنوان رأيتُ فيه آسفي بثوب نادراً ما يتحدّث عنه أهل التأريخ، وهو ثوب التمثيل الديبلوماسيّ والسّفارة الخارجيّة لدى بلدان العالم. فوجدتُ نفسي أتساءل أيّة سفيرة أنت لنا بين النجوم والكواكب أيتها المدينة ذات الأسرار العميقة؟ كيف وصلتِ إلى جنوة وكيف التقى محيطُك ببحرها؟ وكيف جذبتِ إليكِ أبناءها ودللتهم على كنوزك الظاهرة والباطنة وتركتهم يغرفون منها بكلّ ما عُرف عنك من كرم وعطاء ونبل؟!

كلّ البحار تعرفُ آسفي، وكلّ الرّحالة والبحّارة الشّجعان راكبي الأهوال والمخاطر سمعوا بها، وإن كانوا ينطقون اسمها مُحرّفا بلكنة بلدانهم (8)، ولا عجب أن يقول إبراهيم في كتابه عنها، أنّ أخبارها وصلت حتّى إلى الجنويين منذ بدايات العهد الوسيط، ويؤكّد هذا بحديثه عن الأخوين فيفالدي قائلاً: ((...] وفي شهر ماي من سنة 1291م انطلقت الرحلة من ميناء "جنوة"، تحمل الأخوين "فيفالدي Vivaldi" وبرفقتهما المموّل "تودزيو دوريا" ورجلين من رجال الدين المسيحيين الفرانسيسكانيين وثلاثمائة من البحارة، وفي مسارهما مرت سفينتا الرحلة بعدة موانئ، ومنها: ميورقة وبرشلونة وبلنسية وألكانت وألمرية وقادس، لتعبرا مضيق سبتة أو مضيق جبل طارق وتدخلا المحيط الأطلسي، وهنالك احتمال كبير أنهما رستا بميناء آسفي، قبل أن تستأنفا رحلتهما في اتجاه المجهول،في اتجاه أقصى الجنوب الأطلسي، لتنقطع أخبارها

نهائيا بعد أن تجاوزت موقع جزولة Gazora، ومنهم من ينطق هذا الاسم جوزورا Gozora، ويعتقد أنها تقع جوار رأس يوبي Yubi Cap قريبا من جزر كناري؛ ومن المحتمل جدا، أنهما غرقتا وابتلعهما المحيط، إذ لم يكن بإمكان مثل هذا النوع من السفن التي ركبها الأخوان فيفالدي، بشكلها وحجمها وبوسائلها الملاحية، أن تجتاز "رأس بوجدور" وبحره العظيم المتلاطم، ولم يتحقق اجتيازه وعبوره لاحقا وعلى يد البرتغاليين في القرن الخامس عشر، إلا بعد صنع نوع جديد من السفن وهو"الكرافيلا"؛ وقد أحزن خبر اختفاء سفينتي "فيفالدي" أهل جنوة وغيرهم من الإيطاليين، ليتمخض عن هذا الحدث الكبير وهذه المغامرة العجيبة والمثيرة بمعايير ومعتقدات أهل زمانها وعصرها، نسج كمّ من الحكايات والأساطير والخوارق، أصبحت فيما بعدُ جزءا مهما من الفلكلور والتراث الجنوي والإيطالي على العموم)) (9). أيُّ سحر هذا الّذي تنعم به آسفي، وأيّ جمال مكنون يجعل البحّارة يشدون الرّحال إليها ويركبون بحرها ذي الأمواج العاتية والخطيرة، إنها الإمبراطورة التي افتُتِن بها وبخيراتها أهل المغامرات البحريّة وراكبي الأهوال من التجّار الجنويّين وإن كانوا يعرفون أنّهم يخاطرون بحياتهم، كما حدثَ للإخوة أوغولينو وفادينو فيفالدي الّلذين خلّدهما دانتي أليغييري في كوميدياه الإلهية قائلا عنهما:

((فركبتُ البحر العميق المفتوح،
وحيداً إلّا من سفينة ومن الزّمرة
النّادرة التي لم تهجرني أبداً.

فرأيتُ الشّاطئين حتى اسبانيا،
والمغرب وجزيرة سردينيا،

والجزر الأخرى التي يغسل ما يحيطها البحر.

كنّا أنا ورفاقي أصبحنا بطاء وشائخين
عندما بلغنا ذلك الممرّ الضيّق
الذي ترك هرقل عنده علامتيْه.

حتّى لا يذهب الإنسان أبعد:
وتركتُ عن يميني إشبيلية،
وعن الشمال كنتُ تجاوزت سبتة.

قلتُ لهم: ((إخوتي يا من بلغتم
الغرب باجتياز آلاف المخاطر،
ألا لا تحرموا البقيا من اليقظة

الباقية لحواسنا من اختبار
ذلك العالم غير المسكون
والذي تدركونه باتباعكم الشمس.

تأمّلوا ما كانه بذاركم الأول:
إنكم ما خلقتم للعيش مثل البهائم
بل لابتغاء الفضيلة والمعرفة.

بهذا الخطاب الموجز حمّستُ رفاقي
لمواصلة الإبحار حتّى
لم أعد بعدُ قادراً على أن أكبحهم؛

وأدرنا جؤجؤ سفينتنا ناحية الشّرق،
وجعلنا من مجاديفنا أجنحة لذلك الطّيران المجنون،
ماخرين إلى اليسار دوماً.

كان الليل يتأمّلُ جميع نجوم
القطب الآخر، وكان قطبنا من الهبوط
بحيث ماكان ليفارق صفحة الماء.

خمس مرات أضاء النّور
وبقدرهم أظلم منذ أن كنّا
في رحلتنا الرهيبة تلك.

عندما لاح لنا على البعد
جبل داكن بدا لي شاهق العلوّ
حتّى لم أر له من قبل مثيلا.

فغشانا فرح سرعان ما انقلب نواحاً
فمن الأرض أقبلت عاصفة
وضربت مقدّم سفينتنا،

جعلتها تدور والمياه ثلاث مرّات
وفي الرّابعة رفعت الجؤجؤ عاليا في الهواء
وأغرقت المقدّم كما شاءه الآخر،

هكذا حتّى انطبق علينا البحرُ.)) (10)

وكما يقول دانتي، فإنّ أهل البحر من الجنويّين لم يكن هدفهم تجاريّاً بالمعنى الحَرفيّ للكلمة فقط، وإنما كان أيضاً من أجل ابتغاء المعرفة، أيْ استكشاف الكون والخليقة، والاطلاع على البلدان التي لم تطأها أقدامهم قبل، شأنهم في هذا شأن جميع النّاس مصداقا لقوله تعالى في محكم كتابه ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (11) هو هذا التعارف الذي يقتضي من كلّ إنسان السّعيَ إلى فتح كتاب الوجود وقراءته بالعمل والحركة والخدمة في كل أرجاء المعمور، وهو الأمر الّذي يظهر جلياً في تنقّل هؤلاء الكشّافة والبحّارة الجنويين الّذين وصلت سفنهم إلى آسفي أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر JacopusAurie الذي يعدّ من أوائل البحارة الذين وصلوا إليها وهذا ما يؤكده العقد الذي قام بإبرامه في 28 نيسان 1253 لدى الموثّق Bartolomeo De Fornari في جنوة ويقول فيه إنه استلم من التّاجر Guglielmo Bonzio مقدارا من المال قيمته 100 ليرة جنوة لكي يشتري بها السّبلع بمجرّد أن تطأ قدماه آسفي (12).وهناك تاجر جنويّ آخر هو أنطونيو مالفانتي، كان يعدّ الأكثر شجاعة بين التجّار لأنّه بدل طريق الملاحة البحرية اختار طريق القوافل الصحراوية، وقد كتبَ في مذكّراته أنه وصل إلى آسفي عبر طريق داخليّة كانت تربط المدينة بواحة توات الجزائريّة (13). أمّا بالنّسبة للتاجر الجنوي Lazzaro figlio di Clemente، فقد كانت آسفي بالنسبة له من أهمّ المراكز التجاريّة العالمية وقد توفي بها مصاباً بالطّاعون، تاركاً وثيقة يوصي فيها بحمل عظامه في سرّية تامّة إلى جنوة ووضعها في كنيسة سانتا ماريا دي فينيس.

وعن اهتمام الجنويين بآسفي يقول إبراهيم كريدية: ((ويمكن تفسير كل هذا الاهتمام من جانب جمهورية "جنوة" وتجارها، بتزايد الأهمية التجارية لمرافئ الساحل الأطلسي المغربي لدى التجار الجنويين والإيطاليين عموما، منذ منتصف القرن الثالث عشر، كما يعزى ذلك إلى أهمية ميناء

آسفي، كمركز تجاري رئيسي وكمصدر مهم لسلع جنوب المغرب وللسلع المجلوبة من السودان الغربي جنوب الصحراء، فكان أول اتصال تجاري مباشر للجنويين مع آسفي سنة 1253، بحسب وثيقة محفوظة بأرشيف مدينة "جنوة"، وليس معنى هذا، أن الجنويين قبل هذا التاريخ، كانوا يجهلون بوجود هذه المدينة والمرسى، فهنالك من المؤشرات ما يفيد، أنهم كانوا يعرفونها، وربما كانوا على اتصال بها منذ العصر الموحدي، ولكن علاقتهم التجارية المباشرة بها، ستتحقق وستكبر وستتعزز وتبلغ أوج ازدهارها في عهد السلطان المريني أبي عنان(1348-1358)، بعد توقيعهم معه "معاهدة سلم وتجارة" في شهر شوال من سنة 757هـ/ 1356/1357م، وقد كانت جنوة هي المبادرة والملحة على إبرامها، وفي ذلك يقول صاحب "فيض العباب": فقد " أتت إليه أرسال (رسل) الجنويين ترغب في الصلح، وتجيل الكلام في طلبه إجالة القدح، وتراه لمتاجرها أعظم الربح ... ولم يغنهم تكفنهم في الحديد عن التكفن في ثياب الذل ... ولم يجدوا بدا من التخضع ... فأسعف مولانا أيده الله طلباتهم، وأنجح مطامح رغباتهم ... حتى تمم عقد الصلح أحسن التتميم، وألزمهم الشروط التي توطد بها العز...")) (14). ولقد سجّل التاريخ عددا كبيرا من الآثار التي تؤكّد عمق العلاقات التي كانت تربط جنوة بالمغرب في العهد المريني بالرغم من منافسة البندقية لها في ذلك، ولعلّ من أهمّ هذه الآثار الهدية التي أرسلتها جنوة إلى السلطان أبي يعقوب المريني وكانت عبارة عن شجرة جلّلت أغصانها المعدنية بالذّهب الخالص، وعلى أفنانها كانت تغرّد الطيور بحركات هندسية بديعة تشبه الشجرة التي صُنعت للمتوكل العبّاسي(15).

ويمتد ارتباط آسفي ومدن المغرب البحريّة الأخرى بأهل جنوة إلى عهود ما قبل المرينيين بكثير، وتشهد على ذلك العديد من الوثائق التي ربطت الجنويين بالإمبراطورية المغربية المرابطية، كتلك الوثيقة التي تحمل تاريخ 1138م، والمحفوظة لليوم في أرشيف الدولة بمدينة

جنوة، وفيها تطلب مرسيليا من جمهورية جنوة أن تتوسط لها لدى ملك المغرب علي بن يوسف بن تاشفين لعقد اتفاقية سلام معه (16)، مما يدل على المكانة العظمى التي كان يحتلها الأسطول المغربي في العالم آنذاك، لدرجة أن جنوة ومرسيليا تعهّدتا بعدم التعرض لرعايا ملك المغرب وبمنع قراصنتهم المسلّحين من مهاجمة المغاربة.

وإذا كان اتصال الجنويين بالإمبراطورية المرابطيّة يضرب في جذور التاريخ، فإن اتصال البلاط الموحّدي بجمهورية جنوة كان منذ العهد الذي أبرمت فيه أول اتفاقية بين جنوة والخليفة عبد المومن تلتها بعد ذلك اتفاقيات وعقود تجارية كثيرة ومن أهمّها تلك التي وقّعها الخليفة الموحّدي مع قادة جنوة لضمان علاقات طيبة بين الجنويين والمغاربة، وهذا ما يؤكّده عدول الأسطول الموحّدي عن محاصرة سفينة في كايّري بمجرد ما عرفت أنها من جنوة (17). وهو ما يؤكده إبراهيم كريدية قائلا في كتابه: ((ثم ظفرت بعد ذلك في عهد الموحدين، بثلاث معاهدات أخرى، كانت هذه المرة أطول في مددها، تنصّ على السماح للتجار الجنويين بحرية التردد والتعامل مع جميع المناطق الخاضعة للموحدين في البر والبحر، وتؤكد على ضمان سلامتهم وسلامة سلعهم، وعلى تشجيع تجارتهم بتخفيض نسبة الضرائب المفروضة عليهم كحقوق جمركية، من 10 % إلى 8 %، بعكس تجّار غريمتها ومنافستها "بيزة"، الذين كان عليهم أن "يدفعوا تعرفة أعلى"؛ فالمعاهدة الجنوية-الموحدية الأولى، عقدت في عهد الملك عبد المومن بن علي (1130-1163)، وذلك في سنة 1161م بمدة زمنية ارتقت إلى خمسة عشر سنة؛ والمعاهدة الثانية، عقدت في عهد الملك يوسف بن عبد المومن(1163-1184) وبمدة مماثلة، أيْ خمسة عشر سنة، وذلك في سنة 1176م؛ أما المعاهدة الثالثة، فقد أبرمت سنة 1208 في عهد الملك الناصر بن يعقوب المنصور(1199-1213)، ولكن بمدة أقل، إذ لم تزد عن سنتين، ومما يحسب للدولة الموحدية في إقبالها وتفضيلها وتمييزها

لـ"جنوة"، أنها بهذه المعاهدات "شكلت منعطفا في العلاقات الجنوية المغربية"، بحيث "كرست تفوق الجنويين على حساب البيزيين"، وسمحت للتجار الجنويين لأول مرة، بالتعامل مع مرافئ بالساحل الأطلسي، بعد أن كانت رحلاتهم التجارية فيما مضى، تقتصر على موانئ البحر المتوسط)) (18).

في آسفي كان الجنويون يبحثون عن الذّهب، لا سيما أنّ عملتهم كانت تُسَكُّ على أساس ذهبيّ في الوقت الذي توقّفت عن ذلك دور السكّة بالغرب الأروبيّ منذ القرن التاسع ميلادي (19). وإلى جانب الذّهب كان الجنويون يجدون ضالّتهم من العبيد السّود وقد كان فيهم تجّار مختصّون في هذا النّوع من التجارة مثل Gentile Imperiali و Niccolo di Sigiodio و 20) SeguvanoSalvago). ضف إلى ذلك سلعاً أخرى كانت تزخر بها آسفي كالعسل واللوز والتمور والزيت والحبوب التي كانت توزن بمكيال يسمّى "القفيز" (21).

هكذا كانت ولم تزل بعدُ آسفي، الكأس التي أسكرت خمرتُها الجميعَ، وأدارت بكنوزها رؤوس من في الأرض قاطبة، الكلّ يغرف منها وهي لمّا تزل بكرمها وعطائها تقرأ كفوف مريديها، وقلوب أبنائها وتعرف مَن بينهم يحملُ لها خلف ظهره خنجر السمّ، ومَن بين يديه يُهديها باقات من الأذريون الذهّبي المتبرعِمِ فوق تلالها الخصيبة،مثلما يفعلُ كلّ صباح هذا العاشق الصّوفيّ، إبراهيم كريدية وهو يكتبُ عنها بماء الرّوح ولسانُ حاله يقول:

((لستُ من هذا العالم يا مدينتي

ولا أنتِ أيضاً؛

آثارُ الرّيش فوق ظهركِ وظهري

تُذكّرنِي بالكثيرمن ذاك العهد الّذي كان.

كيْفَ نُفينَا إلى هُنا

بين المُخْتلّين والحمقى؟

لستُ أهوي؛

قبورُ الماء من حولنا

تضجُّ بتاريخ الأجداد،

جُزُرُ الماسِ

ونيازكُ الذّهب

تروي الكثير،

وغُبار الحديد والنّحاس

فوق جسدكِ وجسدي

يُذَكِّرنا بذاك الانفجارالهائل

الّذي كان

اسألي عنهُ قلبَكِ يا مدينتي

واسألي القمرَ ابنَ الأرضِ

يُخبركِ بكلّ شيء.

وأنتِ تبكين وتضحكينَ

من شدّة الألم

وتبحثينَ عنّي بين الطّين والحِمم؛

طينٌ لا قِبَل لنا به

لكنّه أصبح جسدَنا الثّاني

وحمم فائرة لا عهد لنا بها

لكنّها أصبحتْ غلالتنا الجديدة

وأجنحتُكِ وأجنحتي

تُبلّلُها دمُوع الأولياء والقدّيسين

أيّة مهمّة هذه يا صاحبتي

بل أيّ منفى هذا

الّذي كُلِّفْنا بجلب النّور والنّار إليه؟!

علينا أن نتحمّل قسوة الطّين

يا أطلانتيس

ليس أمامنا خيار آخر

وحينما يشتدُّ شوْقُكِ إلى مسقط رأسنا الأوّل

ارفعي عينيْكِ إلى جَدِّنا المرّيخ

وسترينَهُ ينتظرُ بفارغ الصّبر

عوْدَتَنَا ذات يوم

إلى كوكبِ الحياة الأبديّة:

كوكب أبي

الشّمسُ المطلقة

التي لا تغيب أبداً؛

لماذا فعلتَ بنا كلّ هذا

يا كهيعص

وأنت تعرفُ أنّني أعشقُ مدينتي

أتيمّمُ بترابها لصلاة الحرف والقلم

وأعشق ناسَها

ومجانينها الحاملين للأوراد والكتب

أولئك الّذين لا يسدون الباب في وجه أحد

ويركضون مع الغزلان فوق ضفاف الشّعبة

يصيحون:

الخلود لمغربنا الكبير

الخلود لفاتناته المتدفّقات من لبن النيّازك

والمتدثّرات ببريق النّجوم

الخلود لصرعى الأبجديّة

وهم يغزلون جدائلَ الشّمس

ويحلمون بنساء من ورد وبخور

وبيْت أزرق على شاطئ البحر

ونهر من عسل مصفّى

لا يجفُّ أبداً

وسكارى من كلّ بقاع الدّنيا

يصيحون كلّ خميس

في ضريح غوث الحُجّاج:

غداً سيعودُ إلينا المحيطُ

وبمائه سنكحّل العيون

وستعود إلينا السّفن بأجنحة فضيّة

نسري بها إلى مجرّة الحليب الأخضر)).

الهوامش:

(1) **قَبْلَ عشر سنوات مضتْ، أطلّ علينا من خلوتهِ العِلميّة الباحثُ ورجلُ التّأريخ الألمانيّ مايكل هوبنر، وقال للعالَم أجمع إنّ مدينة أطلانتيس التي حيّرتِ العلماء والفلاسفة والمؤرّخين على مدار الزّمان تُوجدُ هنا في المغرب، وهي قريبة منّا أكثر ممّا نتصوّر، بحيث أنه لا تبعدها عن مرّاكش سوى بضع كيلوميترات. وقد استدلّ في ذلكَ بحساباته الإلكترونيّة التي استنبطَها من دراسات وأبحاث وكتبَ متعدّدة بما فيها حوارات أفلاطون في تيمايوس وكراشياس. آنذاك، لمْ يأخذ على محمل الجدّ اكتشافَه هذا إلّا فئة قليلة جدّاً من جمهور العلماء والمهتمّين، ومن ضمنهم الكاتب مارك آدامس الذي ألّفَ من وحي هذا التّصريح العلميّ كتاباً جديدا بعنوان (لَلْتَقِ في أطلانتيس).**

(2) **د. أسماء غريب، قصيدة(خريطة)، ضمن ديوان (تستوستيرون)، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2019، صص، 26-29.**

(3) **د. أسماء غريب، رحلة السلام الرّوحي: من الفحم إلى الألماس، حوار أجراه من ستوكهولم الأديب والتشكيلي صبري يوسف، (ج 2)، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، صص 63-66).**

(4) **د. أسماء غريب، أسرار الحروف النورانية في القرآن الكريم، أطروحة الإجازة، عن جامعة الأبحاث والدراسات الإيطاليّة، وفيها تمّ تخصيص بعض من الفصول لكلّ من الشيخ العارف بالله محمّد بن سليمان الجزولي وكتابه (دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبيّ المختار)، والشيخ أحمد باغيرأو (البّاكري) أستاذ الرياضيات الذي كان مسؤولاً عن خلوة الجزولي إلى آخر رمق في حياته، وعن أوراد دلائل الخيرات المتلوّة في رحاب ضريح الشيخ أبي محمد صالح بن ينصارن المجاري.**

(5) **د. أسماء غريب، قراءات من ذاكرة الحرف، دار غيداء، الأردن، 2019، ص 157.**

(6) **سمّيت هذه القصيدة بـ (النّاشفة) لأنها كانت خالية من النّقط، ويقول عنها الدكتور منير الفيلالي البصكري إنّ الحاج الصدّيق نظمهابعد عودته من حفل كان قد استدعي لحضوره. ذلك أن الشيخ الصديق بعد صلاة العصر، خرج كعادته كل مساء إلى مكان خارج أسوار المدينة يسمى "الشعبة" وبينما هو جالس، إذ وقعت عينه على ضفدعة حامل، تأملها بإيمان خاشع، وتمنى لو أنه نظم فيها قصيدة، لكن سجيته في ذلك الإبان لم تطاوعه، متعهدا بأن ينظم شعرا في هذه الضفدعة حين تضع حملها. وبعد أيام قليلة، دُقّ باب منزله، فخرج ليرد على الطارق الذي جاء يقدم له دعوة مذكّرا إياه بالوعد الذي كان قد قطعه على نفسه بمكان "الشعبة" ولعظمة هذا الموقف في نفس الشاعر، تحركت سجيته، فنظم هذه القصيدة. وحين بلغ خبرها**

للسلطان في مراكش، اندهش لعبقرية ناظمها، فسأل عنه، فدلوه عليه، فبعث في الحين من يأتيه به من آسفي. ولما مثل أمام السلطان، حدثه بما حصل له مع الضفدعة، فاستحسن كلامه معبرا له عن إعجابه بروعة هذا النظم فأزجل له العطاء تقديرا منه لشاعريته وإبداعيته. وكانت مناسبة مواتية ليتبارى فيها شاعر آسفي مع شعراء مراكش الذين أحبوه وواصلوه .للحاج الصديق قصائد كثيرة في مختلف موضوعات الشعر الملحون . وفعلا، فقد كان شاعرا مجيدا، ولسوء الحظ، ضاع الكثير من شعره مع ما ضاع من تراثنا. (انظر الحلقة الرابعة من (شعراء الملحون بآسفي)، على جريدة بيان اليوم، عدد 21 أيار 2018).

(7) إبراهيم كريدية، ومضات من تاريخ علاقات حاضرة آسفي وجمهورية جنوة الإيطالية في العصر الوسيط، جمعية آسفي للبحث في التراث الديني والتاريخي والفنّي، ط 1، آسفي، 2020.

(8) ورد اسم آسفي في العديد من المصادر والوثائق التجارية الفرنسية الوسيطية بصيغة Safi و Saffi ثمّ Zafia. وفي كتاب Giovanni Da Uzzano(تقسيم البلدان والمكاييل والتجارات وأشياء أخرى يحتاج التجّار لمعرفتها في مناطق العالم المختلفة) ظهر اسم مدينة آسفي بصيغة أخرى هي Safin. كما جاءت آسفي بعبارة Fassi في كتاب Grazioso Benincasa ألّفه في أنكونا سنة 1480، وهو بعنوان (*Portulano* di Grazioso Benincasa, pubblicato da P.P Matkovic, in programma des K.K. Gymnasiumszuwarasdinamschlusdesschuljahres 1860, Agram, 1860, pag. 1-15.). كما ظهر اسمها في كتاب الإدريسيّ الذي يحمل عنوان: *Dèscription de l'Afrique et de l'Espagne par Edrisi*, texte arabe et trad. pare R. Dozy et De Goeje, 1866.

ويقول إبراهيم كريدية إنّ اسم آسفي تمّ تثبيته فيالعديد من الخرائط القديمة منها:

- خريطة فسكونتي Pietro Visconti لسنة 1318، ففيها أثبت صاحبها مواقع: الجزر الجعفرية ومليلية وباديس وسبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلا والعرائش وسلا وأنفا ومازغان وآسفي
- خريطة دولسير Angelino Dulcertلسنة 1339.
- خريطة وضعها مجهول جنوي سنة 1351.

(انظر ص 23 من (ومضات من تاريخ علاقات حاضرة آسفي وجمهورية جنوة الإيطالية في العصر الوسيط، جمعية آسفي للبحث في التراث الديني والتاريخي والفنّي، ط 1، آسفي، 2020)).

(9) إبراهيم كريدية، ومضات من تاريخ علاقات حاضرة آسفي وجمهورية جنوة الإيطالية في العصر الوسيط، جمعية آسفي للبحث في التراث الديني والتاريخي والفنّي، ط 1، آسفي، 2020، صص 47-48.

(10) دانتي أليغييري، الجحيم، الأنشودة 26، الأبيات (100-142)، ترجمة كاظم جهاد، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002، صص 354-356.

(11) القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13.

(12) Ciasca, *Un centro marocchino del traffico genovese nel mediterraneo*, in rivista internazionale di scienze sociali, anno, XI, III, 1935, P. 449.

(13) **R. Di Tucci, *Nuovi documenti e notizie sul genovese Antonio Malfante, il primo viaggiatore europeo nell'africa occidentale*, vol. XI, marzo, 1934, pp. 179-210.**

(14) **إبراهيم كريدية، ومضات من تاريخ علاقات حاضرة آسفي وجمهورية جنوة الإيطالية في العصر الوسيط، جمعية آسفي للبحث في التراث الديني والتاريخي والفنّي، ط 1، آسفي، 2020، صص 23-26.**

(15) **ابن الكازروني، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، مديرية الثقافة العامّة، بغداد، 1970، ص 202.**

(16) **د. عبد الهادي التّازي، التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلّد الخامس، عهد المرابطين، مطابع فضالة، المحمدية، 1986، ص 223.**

(17) **د. عبد الهادي التّازي، الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، ج 2، ط 1، دار نشر المعرفة، الرباط، 2001، ص 91.**

(18) **إبراهيم كريدية، ومضات من تاريخ علاقات حاضرة آسفي وجمهورية جنوة الإيطالية في العصر الوسيط، جمعية آسفي للبحث في التراث الديني والتاريخي والفنّي، ط 1، آسفي، 2020، صص 13-18.**

(19) **المصدر نفسه، ص 29.**

(20) **المصدر نفسه، ص 41.**

(21) **مصطفى نشاط، الجنويون بسواحل المغرب المحيطية أواخر العصر الوسيط، هسبريس تامودا، 53، 2018، ص 42.**

المؤرّخ سعيد البهالي أو الفتى المحترق

قراءة في حروفيّاته التأريخيّة

د. أسماء غريب

من بابِ الفُتُوَّة عرفتُهُمَا معاً؛ سعيد البهالي وإبراهيم كريديّة، كلاهُما فتيان، الأوّلُ يُوشَيِعِيُّ الهوى (1)، والثاني إبراهيميُّهُ (2). الأوّلُ مريد والثّاني شيخٌ أو مُعَلّم (3). وإذ أصفُ المريدَ سعيد البهالي بالفتى، فإنّي أعني بذلكَ الرّمزَ العرفانيّ الكبير الذي وُسِم به العديدُ من العرفاء والأنبياء والأولياء، والحال وأنّني أؤكّدُ على هذا الأمر فذلك لما رأيتُ في هذا الباحث من أوصاف تنطبقُ على الفتيان الأحقّاء أهل العلم والتّحقيق في كلّ زمان ومكان؛أولها حُسنُ الطّاعة، وثانيها مُلازمة مكارم الأخلاق، وثالثُها مساعدة الأهل والأقارب والأصدقاء، ورابعُها استجلاب محبّة الله بالتحبّبِ إلى أوليائه، وخامسها الوفاء بالعهد وحفظ الودّ، وسادسُها محبّة البلاد والوطن وخدمتهُما بالفكر والبدن، وسابعُها التصرّف بالسّتر والحجب وإعطاء لكلّ موجودٍ ماله مِن حقٍّ، وهو ما يقوم به عادة كلّ الفتيان لأنّهُم زيتُ من لا زيتَ لـه، وهُمُ الدّهن الّذي تُمْلأُ به القناديل (4). ولمن لا يستوعبُ فتوّة سعيد البهالي، أقُلْ لـهُ اطّلع على كتاباته وستجدُ كيف أنّه تصدّى بكلّ شجاعةٍ ونبل إلى القضايَا التي طالها الإهمالُ والنسيان، ولعلّ أكثرها التصاقاً بوجدانه هي قضايا مدينته التي رأى فيها النّور: آسفي(5). ولأجل هذا تجده وقد شمّر عن ساعد الجدّ ليتجشّم عناء الكتابة والاحتفاء بهذه المدينة ورجالاتها من الأولياء والعلماء والشرفاء بقلم التوثيق والتأريخ في كافة ميادين العلم والعطاء الفكريّ والفنّي والإبداعيّ، فكان

أن بدأ بشيخه الرّوحيّ الأستاذ إبراهيم كريدية (6)وألّف عنه كتاباً كاملاً بعنوان ((إضاءات حول الكتابة التاريخيّة عند الأستاذ الباحث إبراهيم كريدية مؤرّخ مدينة آسفي ومنهجيته في البحث والتنقيب)) (7) وقد صدر هذا الكتاب بمدينة آسفي، وجاء في مئة وثمان وعشرين صفحة، وبدا فيها واضحاً تأثّر الكاتب بأستاذه سواء من حيث المنهج والأسلوب، وكذا من حيث تواضعه الجمّ، إذ أنه لا يدّعي أبدا الإحاطة الكاملة بمادّة بحثه بحيث وسمه بـ"الإضاءات" ليترك المجال مفتوحاً أمام مَن سيأتي مِن بعده ويدلي بدلوه في الكتابة عن الموضوع نفسه. هذا من جهة، أمّا من جهة أخرى فقد جاء الكتاب بأسلوب سلس وواضح، تحدّث فيه بشكل أكثر تركيزاً عن منهجيّة المؤرّخ إبراهيم كريدية في كتاباته ومعظم مؤلّفاته عن مدينة آسفي باعتباره أنزل المحليّ والإقليمي والجهوي من برجه العالي والعاجي وجعله في متناول كلّ راغب ومهتمّ مهما كان مستوى تكوينه ومعرفته (8). إضافة إلى هذا فالباحث سعيد البهالي يرى أنّ المؤرّخ إبراهيم كريدية قد عُرف عنه اعتماد مصادر متنوعة بما فيها الوثيقة المكتوبة سواء كانت محلية أو وطنية أو مخطوطة قديمة كالرسائل المخزنية والشخصية وشواهد الملكية والتقاليد والظهائر والفتاوي والجفريات والأشعار والأزجال وكتب الفقه دون إغفال كتب المناقب والصوفية (9)، مع الحرص على توظيف الصورة التاريخية كما جاء في العديد من مؤلّفاته بما فيها سلسلة "آسفي ذاكرة وتاريخ" والتي جاءت في عشر ألبومات تشتمل على صور قديمة لآسفي. والباحث سعيد وإن كان قد أولى عناية خاصّة لأستاذه إبراهيم كريدية ولمساره العلميّ، فهذا لم يثنه عن صون الودّ والعهد لمن سبقه من مؤرّخي مسقط رأسه من أعلام مادام يرى في الكتابة عنهم وعن جليل أعمالهم التزاما حضارياً ووطنياً تبنى به الأمم والشّعوب والثقافات، ولا غرابة أنّه اختار الفقيه المؤرخ الكانوني العبدي وخصّه بكتاب كامل جاء في اثني وثمانين صفحة (10) باعتباره أحد أهمّ السّلف الّذين مرّوا بآسفي في القرن العشرين، ولم توفه أقلامُ المؤرّخين

حقّه في الاهتمام بمؤلّفاته ومخطوطاته التي لم يطبع منها لحدّ الآن سوى عشرة كتب وذلك بفعل احتكار هذه المخطوطات والضنّ بها على أهل العلم من الطلبة والباحثين وعموم القراء والمهتمين (11). ويرى سعيد البهالي أنّ الفقيه المؤرخ الكانوني العبدي قد كان على قدر عال من الانفتاح في الرؤية والتفكير وتجاوز في كتاباته المنهج التقليدي الذي كان يعرف به بعض مؤرخي المدن حيث أنه لم يقتصر على التأريخ للأعلام من أدباء وعلماء وأولياء وإنما تجاوز ذلك إلى التأريخ للقضايا والأحداث السياسية بهدف إبراز الدور الريادي للمغاربة في مختلف العلوم والمجالات (12)، ولعلّ هذا ما يجعل من هذا المؤرّخ ظاهرة علمية وأدبية وفقهية متميّزة في التاريخ المغربي الحديث، بحيثُ عُرف بحسّه الوطنيّ الكبير لدرجة أنّ محكمة العدل الدولية بلاهاي اعتمدت كتابة (آسفي وما إليه قديماً وحديثاً) كوثيقة لإثبات مغربية الصحراء فكانت بذلك كتاباته مشروعاً متكاملاً لإعادة كتابة تاريخ الجنوب المغربيّ خاصّة وتاريخ المغرب عامّة. (13)، وكما اهتمّ قديماً الفقيه الكانوني بقضايا المغرب الوطنية فإنّ سعيد البهالي سار على النّهج ذاته، فكتب عن الحركة الوطنيّة بمدينة آسفي وعن النّخبة التي صنعت فيها الوعي الوطني وقادته إلى أعلى مدارج السمو والرّقيّ بكافّة تجلّياتها سواء في المجال السياسيّ أو النّقابي والتعليمي أو الثقافي والإصلاح الاجتماعي (14).ولأنّني وصفتُ منذ البداية الباحث سعيداً بالفتى، فإنّي أرى أن فتوّته الصوفية (15) هذه تجلّت أيضاً في اعتنائه بأشراف المغرب وأوليائه،ولا أدلّ على ذلك من كتابه الجديد عن الزاوية الغنيمية (16) باحثاً عن أصلها ونسب رجالها وصلتهم الوطيدة بجدهم الوليّ الكامل المجاهد السيد الحسن بن رحو الذي جاء مهاجراً من الساقية الحمراء ليستقرّ في منطقة عبدة، وعن هذه الهجرة يقول سعيد: ((...ولا تمكننا هذه المصادر من الإفصاح عن الأسباب الحقيقيّة التي جعلته يختار منطقة عبدة دون سواها من المناطق باستثناء عبارة تحمل أكثر من تفسير أوردها صاحب موسوعة "مصابيح البشرية

في أبناء خير البرية" وهي أنّ سيدي الحسن بن رحو "ورد من الساقية الحمراء كثائر على الكفار قرب المحيط الأطلسي" ولعل هذا ما جعل المراقب المدني الفرنسيّ أرمان أطونا يعترف بأنّ عدداً كبيراً من أولياء آسفي وعبدة هم من المجاهدين الذين حاربوا البرتغال ودافعوا عن إسلاميّة المنطقة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وهذا ما يجعلنا نعتقد أن هناك أسباباً عدّة جعلت سيدي الحسن بن رحو يغادر الساقية الحمراء نحو منطقة عبدة، ومنها طبعا الرغبة الأكيدة في جهاد المحتل البرتغالي .... وإذا كان هذا هو السبب الرئيس فإنّ هناك أسباباً أخرى منها صعوبة العيش في الصحراء بعد تدهور تجارة القوافل بفعل تحويل البرتغاليين لطريق الذهب لصالحم، وطبيعة منطقة عبدة المعروفة تاريخياً باحتضانها للشرفاء المنتمين لآل بيت النبوة الأطهار)) (17). والزاوية الغنيمية لم تكن مجرّد رباط للعبادة وإنما كانت شأنها شأن العديد من زوايا المغرب تستعمل كمدرسة للتعليم ومكان للاستشفاء وملاذاً للمحرومين والمضطهدين، وكونها جعلت من مدينة آسفي مركزاً لها، فذلك أمر تحكّمت فيه العديد من المقوّمات أهمّها كما يقول سعيد البهالي: الأصل الشريف المتصل بنبيّ الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيّبين الأطهار، ثمّ وجود تراث روحيّ وصوفيّ بالمنطقة وتوفّر مظاهر التقوى والعلم في المؤسسين للزاوية (18)، ولأجل هذا أقول إنّ معظم رجال آسفي هم أهل صوفية ومذهب روحيّ على قدر كبير من العمق والصّفاء والجلال، لأنّ السّير إلى الله بالنسبة لهم إدراكٌ في أسراره، وعقلٌ في إشراقه، ولذّة روحية في تجربته، وعِلم في معرفته يشيد بأهل العلوم والكتب والحكمة المتعالية وهو ليس بطريق للدّروشة في تجلّياتها البدعيّة أو ملجأ يُرتكزُ فيه على الوهم، ولا هو بعزلة عن الحياة ولا بموقف ضدّ العقل وإلّا لما كان ظهر بينهم العديد من العلماء والأطبّاء والأساتذة الكبار في شتى مجالات العطاء الفكريّ، وهاهو الفتى المحترق بأنوار المعرفة سعيد البهالي يشقّ طريقة بتأنّ وتؤدّة من أجل الإحاطة بما لم يحط به خُبرا قبله

من البحّاثة والدّارسين في مجال بحثه الذي يحتضنُ مدينة آسفي بكلّ محبّة وحسّ وطنيّ كبير، لأنّها أرض الأجداد والأبدال، وأرض الأقطاب والأوتاد الّذين فاح عطر سِيَرهم الشريفة في كلّ مكان وأصبحتْ شعلته تجذب المريدين من أهل العلم في كلّ قطر ومكان.

الهوامش:

(1) **نسبة إلى يوشع فتى موسى (عليهما السلام).**

(2) **من وحي سورة الأنبياء: الآية 60. ((سمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)).**

(3) **اعلم يا أيّدكَ اللهُ بنوره وعلمِه ومحبّتِه، أنّ المُعَلّمَ أو الشّيخ لا يُحَدَّدُ بعُمرٍ ولا بجنسٍ ولا بزمان أو مكانٍ أو دينٍ، فقد يكونُ أصغرَ من المُريد بسنوات عدّة، وقد يكون طفلاً، وقد يكونُ من رجالِ الزّمن الماضي، أو من أهل الحاضر، أو من صحْب الزّمن المُقبلِ، وقد تكون امرأةً بصفة معلّمٍ لرجل أكبر منها بكثير في السّنّ يكونُ سالكاً وواقفاً عند باب الرّجاء والدّعاء والحضرة. لكن عليك أن تعرف أيضاً أنّه مهما اختلف عُمرُ أو جنسُ المُعلِّم ذكراً كانَ أم أنثى، فإنّه يبقى على خلاف المُريدِ "ذكوريَّ" الصّفةِ من حيثُ فَيْضِه وعطائِه المُسْتَمرّ، لأنّهُ – أو (لأنّها) غيمةٌ حبلى تبحثُ عن إناءٍ تفيضُ فيه بالمطر، والإناء هو المُريد الّذي يكونُ "أنثويَّ" الصّفة لأنّهُ – أو (لأنّهَا) الرّحمُ المستقبلُ لفيْضِ المُعَلّم. واعلم أنّ المُعلِّمَ دائمُ البحث عن مُريده يسعى نحوه باستمرارٍ، والشّأنُ نفسه بالنّسبة للمريد تجاه معلّمه، ولا بدّ للاثنيْن أن يلتقيا، ليس جسديّاً بالضّرورة وإنّما روحيّاً قبل كلّ شيءٍ ليتحقّقَ الانصهار بينهُما. و"العلاقة" السلّيمة بين الاثنيْن هي تلك الّتي لا يطلبُ فيها المُريدُ شيئاً، ولا يَعِدُ فيها المعلّمُ بشيء، إنّما يحدث الفيض والاستقبال لوحدهما ومن ذاتهما، مادام في المُريد عطَشٌ وفي المعلّم فيضٌ. ولا أحد في هذه**

"العلاقة" أفضل أو أهمَّ أو أكبرَ من أحد. وعليكَ أن تتذكّر جيّداً أيّها القارئ أنّه ثمّة فرق كبير بين المُريد والتّلميذ، وبين المعلّم والأستاذ. فالمُريد من أهل العلم اللّدنيّ، والمعلّم حاضنُه، أمّا التّلميذُ فيطلبُ العلومَ الدّنيويّة الجاهزة، والأستاذُ قد درس طويلاً في حياته من أجلِ أن يحصل عليها في المدارس والجامعات، فيعطيها لتلميذه من باب الثّقافة والمؤسّسة والمجتمع، بقلبٍ قد يكون في كثير من الأحيان غارقاً في الغفلة والظّلام، في حين وبالإضافة إلى العلم الدّنيويّ والأكاديميّ، فإنّهُ من الممكن جدّاً أن يكون مُعلّمُك طفلاً وهو لا يدري أنّهُ معلّمُكَ، أو طفلةً، أو شيخاً عجوزاً لم يسبق له أنْ دخل إلى مدرسة، والعِلمُ الّذي في قلبه أكبر بكثير ممّا قد يتوقّعُهُ فيلسوف أو مُنَظِّرٌ من أهل الثّقافة والعلوم.

المعلّمُ أو الشّيخُ شمعةٌ مُشتعلة، والمُريدُ كذلك، وحينما يقعُ اللّقاء بينهما تتوحّدُ الشّعلتان ولا يهمّ إذا ظلّ الجسدان منفصلان بحُكم الزّمان والمكان والتّاريخ والجغرافيا.

حينما يلتقي المُريد بمعلّمه يقعُ العشقُ، لذا، عليكَ أيّها المُريدُ أنْ تعرفَ هذا جيّداً، وعليكَ أيّها المعلّمُ أن تعرفَ متى تنفصلُ عن مريدِك وتدَعَه يُكمِلُ الطّريق لوحده حينما ترى أنّه قد أصبح هُو أيضاً بدوره معلّماً أو شيخاً كبيراً، ربّما أفضل منكَ بكثيرٍ. (انظر في هذا الصدد، كتابنا (رحلة السلام الروحي من الفحم إلى الألماس، حوار أجراه صبري يوسف من ستوكهولم الأديب والتشكيليّ صبري يوسف)، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، 2019.

(4) وهذه الصّفات وإن أشرتُ إليها بشكل شديد الإيجاز، تجد ما يؤكّدها ويوثّقُ لها في الإهداء الّذي افتتح به الأستاذ إبراهيم كريدية كتابه الجديد الموسوم بـ (علاقات حاضرة آسفي وجمهورية جنوة الإيطالية في العهد الوسيط)، والّذي يقول فيه: ((إلى:من كانت له يد بيضاء لن تنسى، في بعث قيم الشكران والعرفان من رماد الجحود والكنود، وزاد بطيبته في إنضاجها وبلورتها وإفشائها، وعمل وألح على تجسيدها فعلا حسنا راقيا بهذه البلدة الطيبة. // إلى:من أحيا في سويداء قلبي ووجداني تلك القيمة الكبيرة وذلك الشعور النبيل المفتقدين منذ زمن بعيد وبعيد. // إلى:من فرط إقباله وحبه وتقديره لكتاباتي وتدويناتي، يزعم تواضعا، أنه تلميذي ومريدي وخلفي. // إلى:الشاب الآسفي الأصيل الوسيم الخلوق الوديع الودود. // إلى: الباحث المثابر الرصين الطموح المعطاء الواعد. // إلى: الإنسان الخيّر العزيز الفاضل النفّاع.// إلى : سعيد البهالي "شكرا لك بعد الله، وتقبّل الله مني ومنك مزيدا من صالح الأعمال لهذه المدينة الغالية آسفي")). وهو إهداء عرفانيّ محض، وردت فيه لأهل النّهى كلّ الصّفات التي تقود إلى مقام الفتوّة والفتيان. وهو الإهداء الّذي وجدتُ فيه صعوبات جمّة عندما ترجمتُ كتاب الأستاذ إبراهيم كريدية إلى اللغة الإيطالية، بحيث كنتُ أحرص كلّ الحرص على تفادي أن يسقط المتلقّي في ازدواجية المضمون لا سيما إذا كان ممّن حُجِبَ بالظّلمات النّفسانية عن معاني وإشارات أهل الله، فكان الحلّ أن سلكتُ في ترجمة هذا الجزء طريق الإشارة وتركتُ مسلكَ العبارة مع الحفاظ على المعاني كاملة يتذوّقها أهل المحبّة والحرف الحقّ.

(5) انظر في هذا الصّدد مقالاته التي كتبها عن العديد من القضايا المنسية أو المهملة والخاصّة بمدينة آسفي بما فيها القضيتان الأمازيغية واليهودية، ولعلّ من أعمق مقالاته في هذا المجال

نجد: المسألة الأمازيغية في خطاب الحركة الإسلامية، ثم أمازيغ خدموا العربية: محمد المختار السوسي نموذجا، وأمازيغ في خدمة العروبة: محمد عبد الكريم الخطابي نموذجاً. أمّا بالنسبة للقضية اليهودية فمقالاته في هذا الباب كثيرة ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الاسم الشخصي والعائلي ليهود مدينة آسفي: قراءة في وقائع الحالة المدنية، ثم مهن يهود آسفي في الخمسينيات: نماذج إنسانية، وهل كان يهود المغرب من الدرجة الثانية: يهود مدينة آسفي نموذجا. ثم معطيات جديدة حول مقبرة أولاد بن جميرو بآسفي. وهي كلّها مقالات نشرت في العديد من الجرائد والصحف الوطنية والمحلية كجريدة العصر، وجريدة لواء آسفي وجريدة الموقف.

(6) **انظر العبارات التالية التي جاءت في إهداء كتاب الأستاذ إبراهيم كريدية (علاقات حاضرة آسفي وجمهورية جنوة الإيطالية في العهد الوسيط): ((إلى: من فرط إقباله وحبّه وتقديره لكتاباتي وتدويناتي، يزعم تواضعاً، أنه تلميذي ومريدي وخلفي.)).**

(7) **سعيد البهالي، إضاءات حول الكتابة التاريخية عند الأستاذ الباحث إبراهيم كريدية مؤرّخ مدينة آسفي ومنهجيته في البحث والتنقيب، Safigraphe، ط 1، 2019.**

(8) **المصدر نفسه، صص 61-62.**

(9) **المصدر نفسه ص، 68.**

(10) **سعيد البهالي، مؤرخ آسفي الفقيه محمد بن أحمد الكانوني العبدي، مقالات لذكراه العطرة، ط 1، 2019، Safigraphe.**

(11) **المصدر نفسه ص 7.**

(12) **المصدر نفسه ص 18.**

(13) **المصدر نفسه ص 22.**

(14) **انظر في هذا الصدد جديد إصدارات سعيد البهالي: الحركة الوطنية بمدينة آسفي، مظاهرها وقضاياها وانشغالات روادها.**

(15) **أميّز هنا بين الصوفية والتصوّف، فالأولى طريق أولها إيمان ثمّ علم ثمّ ذوق، والثانية طريق مراقبة. لذا تجد الصوفي في مقاومة الرّوح صاحب مشاهدة والمتصوّف في مقاومة القلب صاحب مراقبة، وهناك ثالث يحاول التشبّه بهما معا فيكون في مقاومة النّفس صاحب مجاهدة ومحاسبة.**

(16) **سعيد البهالي، الزاوية الغنيمية ببادية آسفي، (تاريخها، أدوارها ورجالها)، Safigraphe، 2020.**

(17) **المصدر نفسه ص، 23. 18 . المصدر نفسه، ص 26.**

نيازك الذهب

د أسماء غريب

لستُ من هذا العالم يا مدينتي

ولا أنتِ أيضا،

آثار الريش فوق ظهرك وظهري

تذكّرني بالكثير من ذاك العهد الذي كان

كيف نُفينا إلى هنا

بين المختلين والحمقى ؟

لستُ أبوي،

قبور الماء من حولنا

تضج بتاريخ الأجداد

جزر الماس

ونيازك الذهب

تروي الكثير،

وغبار الحديد والنحاس

فوق جسدك وجسدي

يذكرنا بذلك الانفجار الهائل

الذي كان

اسألي عنه قلبك يا مدينتي

واسألي القمر ابن الأرض

يخبرك بكل شيء .

وأنت تبكين وتضحكين

من شدة الألم

وتبحثين عني بين الطين والحمم،

طين لا قِبَلَ لنا به

لكنه أصبح جسدنا الثاني

وحمم فائرة لا عهد لنا بها

لكنها اصبحت غلالتنا الجديدة

وأجنحتُك وأجنحتي

تبللها دموع الأولياء والقديسين

أية مهمة هذه يا صاحبتي

بل أي منفى هذا

الذي كلفنا بجلب النور والنار إليه ؟

علينا أن نتحمل قسوة الطين

يا أطلانتيس

ليس أمامنا خيار آخر

وحينما يشتد شوقك إلى مسقط رأسنا الأول

ارفعي عينيك إلى جدنا المريخ

وسترينه ينتظر بفارغ الصبر

عودتَنا ذات يوم

إلى كوكب الحياة الأبدية :

كوكب أبي

الشمس المطلقة

التي لا تغيب أبدا،

لماذا فعلتَ بنا كل هذا

يا كهيعص

وانتَ تعرف أنني اعشق مدينتي

أتيمّمُ بترابها لصلاة الحرف والقلم

واعشق ناسها

ومجانينها الحاملين للأوراد والكتب

أولئك الذين لا يغلقون الباب في وجه أحد

ويركضون مع الغزلان فوق ضفاف الشعبة

يصيحون :

الخلود لمغربنا الكبير

الخلود لفاتناته المتدفقات من لبن النيازك

والمدثرات ببريق النجوم

الخلود لصرعى الأبجدية

وهم يغزلون جدائل الشمس

ويحلمون بنساء من ورد وبخور

وبيت أزرق على شاطئ البحر

ونهر من عسل مصفى

لا يجف أبدا

وسكارى من كل بقاع الدنيا

يصيحون كل خميس

في ضريح غوث الحجاج

غدا سيعود إلينا المحيط

وبمائه سنكحل العيون

وستعود إلينا السفن بأجنحة فضية

نسري بها غلى مجرة الحليب الأخضر

من ديوان فيتامين سي،ص 65/69

كلمة د أسماء غريب بمناسبة تكريمها بمدينة آسفي يوم 28/12/2019

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله الذي تفرد في ملكوته بعز كبريائه، ونَوّر بكتابه قلوب أوليائه، وأمِن أفئدتهم بحسن رجائه، وجعل من عقولهم بصائر تقود إلى معرفته، ومصابيح ترشد إلى الإقرار بربوبيته، وسبحانه وحده، قال فأبلغ، وأنعم فأسبغ، وجعل من الحرف سره الأبهر، وتصرف في الخلق به فقدّر وقهر . وأشهد أن لا إله إلا هو، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا بن عبد الله خاتم النبيّين وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الشاهد البشير الداعي إليه بإذنه، بلغ رسالته، وأدى أمانته، وكشف الظلمة وجاهد في سبيله حق جهاده حتى أتاه اليقين .

أما بعد،

قبل عشر سنوات مضت، أذكر أنه كان قد أطل علينا من خلوته العلمية الباحث ورجل التاريخ الألماني مايكل هوبنر، وقال للعالم أجمع أن مدينة أطلانتيس التي حيّرت العلماء والفلاسفة والمؤرخين على مدار الزمان توجد هنا في المغرب، وهي قريبة منا أكثر مما نتصور، بحيث انه لا تبعد عن مراكش سوى ببضع كيلومترات، وأذكر أنه كان قد استدل في ذلك بحساباته الإلكترونية التي استنبطها من دراسات وأبحاث وكتب متعددة بما فيها حوارات أفلاطون في تيمايوس وكراشياس، آنذاك، لم يأخذ على محمل الجد اكتشافه هذا إلا فئة قليلة جدا من جمهور العلماء والمهتمين، ومن ضمنهم الكاتب مارك أدامس الذي ألف من وحي هذا التصريح العلمي كتابا جديدا بعنوان (لنلتق في أطلانتيس)، ولأنني ابنة هذا البلد الذي قال الباحث الألماني بوجود المدينة المفقودة فيه، فإني أقول : إن بلدي المغرب سيبقى ومدنه قاطبة بما فيها آسفي حاضرة المحيط التي رأيت فيها النور، سيبقى أرض الكنوز والأسرار والعلوم والعلماء، وإننا كشعب عريق جدا سنسترجع ونتذكر قريبا ولا محالة كل علومنا التي كنا نمتلك أسرارها قبل حدث الطوفان الكبير، لأنها بكل بساطة ما زالت مخزنة في قلوبنا وأرواحنا . وإذا كانت أرضنا ما زالت لليوم تنجب العلماء والعباقرة في شتى المجالات الفكرية والعلمية، فإن هذا دليل على أن خميرة العلم الإنساني والمعرفة الحقة هي هنا في هذا البلد العظيم، مغربنا الكبير والذي فيه ممن يقَدّر العلم والعلماء العديد من أصحاب الفكر النير والبصيرة

المتقدة، مثلكم أيها السادة الكرام، وكيف لا يكون الأمر كذلك، وقد قررتم تكريمي عرفانا وتقديرا لما قدمته من إنجازات في مجالات أدبية وإبداعية مختلفة سواء في النقد الذي أصدرت فيه أكثر من كتاب منها تلك التي تضمها سلسلة (كواكب على درب التبانة)، أو تلك التي صدرت بشكل مستقل في لبنان والأردن، أو في مجال الشعر والذي أصدرت فيه لليوم عن دار الفرات للثقافة والإعلام بالعراق تسع دواوين شعرية ذات طابع صوفي عرفاني، أو في مجال الترجمة والذي أصدرت فيه موسوعة ضخمة متكونة من ستة أجزاء، إضافة إلى نتاجات أخرى في مجال القصة والرواية وأدب الحوار .

ولأجل هذه المبادرة السامية منكم في حقي، فإنني أتوجه للسيد رئيس الجمعية المغربية /الإيطالية، وكذا للأستاذ والمؤرخ الفاضل إبراهيم كريدية وللحضور الكريم ولكل من ساهم في جعل احتفالية هذا التكريم واقعا ملموسا، بأسمى آيات الشكر والامتنان على هذا الإهتمام النبيل منكم الذي أقدره وأثمنه كثيرا وأعتبره إكليل تقدير واحترام واعتزاز يضعه نجباء بلادي فوق هامات النساء المغربيات الماجدات، سواء كن داخل الوطن أو خارجه، اعترافا منهم بما تبذله المرأة المغربية من جهود طيبة في شتى مجالات العطاء الفكري والعلمي .

دمتم بخير ودام مجدكم الثقافي، ودام نبض الحرف خفاقا في كل ركن من بلدي الحبيب .

صورة لبعض أفراد عائلة أسماء غريب يوم تكريمها بمدينة الفنون بأسفي

تقرير عن تكريم د أسماء غريب

بمدينة آسفي يوم 28 جنبر 2019

د أسماء غريب

التّكريمُ شأنُ اللهِ الأعلى والأقوَم، وهُو حينما مَنّ بهِ على أبينا آدم (عليه السلام)، مَنّ به علينا ضمنياً نحن ذريّته من بعده، فقرّبنَا إليه بمعرفة التّوحيد، وحملنَا في أرضِ عالم الأجساد، وغمرنا في بحر عالم الأرواح، ودعانَا في كلا العالميْن إلى الارتقاء وطلب الكمالِ، ورزقَنا من طيّبات العلوم والمعارف ففضّلنا بهذا على الكثير من الخلق مُدخلاً إيّانا في مقامِ الصّدقِ والحمدِ بألسنة تلهجُ بالشّكر الأبديّ على جميل وبديع صنعتهِ فينا، فأصبح من الواجب على كلّ إنسانٍ الحفاظَ على هذا التّشريف الإلهيّ من خلال العمل على تكريم عقلِه عبر تزكيّتِهِ بالعلم والمعرفة، والتأمّل والتدبّر في الكون، والابتعاد عن الوهم والخرافة. ثمّ العمل على تكريم قلبه بالإيمان وتطهيره من الآفات والأمراض النفسيّة كالحسد والحقد والغلّ، والكراهية والغيرة وغيرهما. ثمّ تكريمِ روحه بالولوج بها في الحضرة الإلهيّة والسمو بها عن الغفلة والعصيان. ولأجل هذا فإنّ كلّ من فقِهَ واستوعبَ للعمق فلسفة التكريم الإلهيّ فإنّه لابدّ يسعى أوّلا إلى تكريم إنسانيّته، ثمّ إلى تكريم إخْوَتِهِ في الخلق والخليقة، ومن هذا الباب أقولُ؛ إنّ كلّ من يسعى إلى تكريم إنسانٍ ما فإنهّ يعلنُ انتماءَه إلى أهل المحبّة التي بها ومن خلالها يتمُّ الاعترافُ والتنويه والتعظيم والتشريف لشخصِه على ما قدّمهُ من عمل خَدمَ به الإنسانيّة والمجتمع في مجال تخصّصه بكلّ صدق ونكران ذات، لا سيما وأنّ لكلّ تكريم آثاره الإيجابيّة

في نفس الشّخص المُكرَّم وهو دفعة إلى الأمام لتحقيق المزيد من التقدّم والدّخول في مرحلة جديدة من الإشراق والإزهار والعطاء. أقول هذا، وقد حظيتُ في يوم 28 دجنبر (كانون الأول) 2019، في مسقط رأسي آسفي بتكريم جليل كان برعاية الجمعية الثقافيّة الإيطاليّة – المغربيّة (النّصر والتيسير)، والتي أشكرها من هذا المنبر على التفاتتها النبيلة ومبادرتها الطيّبة وأشكر كلَّ من دعم وسهر على إشراكي في الحدث لحظة بلحظة من أهلي وسادة ووجهاء النخبة الثقافيّة لبلدي الحبيب. وقد شملَ التكريم أيضاً قامةً تاريخية من قامات المغرب الحبيب، وأعني به قُطبَ مؤرّخي مدينة آسفي الأستاذ إبراهيم كريدية الّذي ضِمن مؤلّفاته الكثيرة في مجال اختصاصه حضرَ الحفلَ وبين يديه جديد ما ألّفَهُ كتابَه الذي جاء بعنوان (ومضات من تاريخ علاقات حاضرة آسفي وجمهورية جنوة الإيطاليّة في العصر الوسيط).

وقد افتُتِحَ الحفلُ بتلاوة آيات بيّنات منَ الذّكر الحكيم وعزف للنّشيد الوطني، ثم ألقى السيّدُ حميد بنعزيّ رئيس الجمعية المُكرِّمة كلمتَه مع عرض شريط قصير يُعَرّفُ بالجمعية وأنشطتَها، وتلا ذلك فقرة تكريمِي، فأُلْقِيَتْ أمام الحضور كلمة كتبتُها وأرسلتُها خصّيصاً لهذا الحفل، وقرأتْ بعدها السيدة المبدعة شامة المؤذن ورقة أخرى تمّ من خلالها التّعريف بمساري الأدبيّ والإبداعيّ والتأليفيّ سواء في مجال النّقد والتّرجمة الموسوعيّين، أو الرّواية والتأريخ وما إليهما من أنشطة أخرى، وتلا هذا فقرة تكريم العَلَم الآسفيّ الأستاذ السيّد إبراهيم كريدية عبر كلمة مفصّلة ألقاها الباحثُ والمؤرّخ السيّد سعيد البهالي.

كان الحفلُ مهيباً بكلّ ما في الكلمة من معنى، زيّنَتْ سماءَه كواكب آسفي المُشرقة من الأبناء البررة، جمهوراً وأساتذة أفاضل تُوّجتْ هاماتهم بإكليل التّشريف، وننتظر منهم المزيد من العطاء على درب الحرف الملتزم الجادّ الرّصين.

شكراً لسادة وسيّدات مدينتي الأبرار، شكرا لآسفي صاحبة الفيوضات البهيّة، شكراً لكل الحضور، وشكراً قبل وبعد كلّ شيء لمُكَرّمي ومُشَرّفي الأوّل والأخير خالقي صاحب الهبات والعطايا التي ليس لها حدود.

د. أسماء غريب.

صورة جماعية يوم تكريم أسماء غريب والمؤرخ إبراهيم كريدية بمدينة الفنون

الفهرس

مقدمـــة 3

أسماء غريب عارفة بالله 12

أ . في الطفولة : الإشارات والدلالات 16

ب . نقد التصوف التقليدي : خلع الجبة وطرح العصا 21

ج . معرفة النفس وتهذيبها أساس كل سلوك عرفاني 30

د . أسماء غريب سفيرة السلام وإنسانة الوئام 32

أسماء غريب شاعرة مقامات اليقين 40

في رحاب الفن التشكيلي : بين تجليات الألوان وظلال المعاني 51

أسماء غريب المحبة لآسفي : من حاضرة المحيط إلى جزيرة الشمس.....62

من آسفي إلى صقلية رحلة الأنوار والتجليات 65

خاتمة .....
73

ملحق

د. أسماء غريب : سيرة ذاتية و علمية.....74

مدينتي العارفة بالله 83

آسفي وإبراهيم كريدية: حكاية عشق صوفيّ :بين التّأريخ والأدب.....90

المؤرّخ سعيد البهالي أو الفتى المحترق قراءة في حروفيّاته التأريخيّة.....102

قصيدة نيازك الذهب لأسماء غريب 109

كلمة د أسماء غريب بمناسبة تكريمها بمدينة آسفي يوم 28/12/2019 ..112

تقرير عن تكريم د أسماء غريب بمدينة آسفي يوم 28 جنبر 2019.....114

الكــاتب في سطــور

* سعيد البهالي

* من مواليد مدينة أسفي سنة 1971

* حاصل على الإجازة من جامعة أبي شعيب الدكالي (الجديدة)

* متصرف بالجماعة الحضرية لأسفي (ضابط الحالة المدنية).

* عضو هيئة تحرير جريدة " لواء أسفي " (أسفي)

* متعاون مع جريدة "الصحوة " (الحسيمة)

* مهتم بتاريخ وتراث مدينة أسفي وباديتها.

* له أبحاث ومقالات منشورة بالمجلات والجرائد الوطنية والمحلية .

صدر له :

. مؤرخ آسفي الفقيه محمد بن احمد الكانوني العبدي : مقالات لذكراه العطرة (آسفي /فبراير 2019)

. الحركة الوطنية باسفي مظاهرها وقضاياها وانشغالات روادها (آسفي / يوليوز 2019)

. إضاءات حول الكتابة التاريخية عند الأستاذ الباحث ابراهيم كريدية مؤرخ آسفي وعبدة ومنهجيته في البحث والتنقيب (آسفي /نونبر 2019)

ـ الزاوية الغنيمية ببادية اسفي رجالها وأدوارها الاجتماعية والسياسية (فبراير 2020)

. أسماء غريب من آسفي : شاعرة وناقدة وعارفة بالله (بين يديك)

له تحت الطبع :

. يهود مدينة آسفي " ذاكرة مدينة "

. آسفي مقالات في التاريخ والتراث

احتفاء وتكريم

. ماي 2019 / رمضان 1440 تم الاحتفاء به رفقة خمسين كاتبا من اسفي من طرف مجموعة Act4Community Safi التابعة لمكتب الشريف للفوسفاط بقاعة اطلانتيد .

. 07 يوليوز 2019 تم تكريمه من طرف الفيدرالية الإقليمية لجمعيات اسفي بحضور الوزير المنتدب المكلف بالعلاقة مع البرلمان والمجتمع المدني السيد مصطفى الخلفي رفقة المخرج المسرحي حميد بنوح بقاعة دار الثقافة كاوكي.

. 03 نونبر 2019 تم تكريمه من طرف المركز الوطني لحقوق الإنسان بالموازاة مع تكريم المؤرخ ابراهيم كريدية بمناسبة عقد المركز المذكور لمؤتمره الإقليمي بآسفي وإطلاق اسم ابراهيم كريدية على الخزانة التي أصبحت تحمل اسمه (خزانة عزيب الدرعي سابقا)، وقد قاد المؤلف حملة للمطالبة بتسمية الخزانة باسم مؤرخ اسفي ابراهيم كريدية وكللت بالنجاح وموافقة المجلس البلدي لآسفي على ذلك .

. 29 نونبر 2019 تم الاحتفاء بصدور كتابه " إضاءات حول الكتابة التاريخية عند الأستاذ الباحث ابراهيم كريدية مؤرخ آسفي وعبدة ومنهجيته في البحث والتنقيب" من طرف جمعية إبداع وفنون آسفي بالموازاة مع تكريم المؤرخ ذ إبراهيم كريدية .